

نقـولا يوسـف

سليم النقاش رائد الصحافة والمسرح

بقلم نقـولا يوسـف

* * *

قلما يرد ذكر الكاتب العربي أديب اسحق (١) دون أن يذكر معه زميله في النشأة ، ونظيره في العمل ، وقرينه في الجهاد : سليم النقاش .. كان كلاهما رائدا في الحركة المسرحية والصحافية التي بدت طلاتها في أواخر القرن التاسع عشر بمصر والشام .. وكان كلاهما اديبا مكافحا، وكاتبا متحررا ..

وولد سليم خليل النقاش بلبنان ، وتلقى به تعليمه الاول ، ودرس اللغة العربية وأدبها ، ثم تعلم اللغتين الفرنسية والايطالية .. وتعلق منذ صباه بالادب ، ونظم الشعر واستهوته الفنون المسرحية .. مقتفيا اثر عمه مارون النقاش (١٨١٧ – ١٨٥٥) الذي يعد من أقدم رواد المسرح العربي الحديث – ان لم يكن اولهم ..

وكان مارون النقاش قد ولد في صيدا عام ١٨١٧ ثم انتقل الى بيروت وتعلم بها ، واجاد الى جانب لغته العربية ، اللغات الايطالية والفرنسية والتركية ودرس الحسابات التجارية ، وتوظف في شبابه بجمرك بيروت ثم تركه للاشتغال بالتجارة بقية حياته .. ولكنه كان فنانا يهوى المسرح والموسيقى والتنقل في البلاد ، فطاف بالمدن السورية واللبنانية ، وزار القاهرة والاسكندرية عام ١٨٤٦ . ثم ذهب الى ايطاليا حيث شهد عددا من التمثيليات واعجب بها ، فلما عاد الى بيروت ، الف فرقة للتمثيل من اصحابه الشباب وأخذ يدربهم .. واقتبس رواية البخيل لموليير ، وحورها وعرب أشخاصها ، ومثلها معهم في بيته عام ١٩٤٨ ودعا عددا من وجوه المدينة لمشاهدتها .. ثم الف تمثيليه : « أبي الحسن المغفل أو هارون الرشيد » التي استلهمها من احدى حكايات الف ليلة وليلة ومثلها مع فرقته عام ١٨٥٠ .. وانشأ مسرحا خاصا بجوار منزله ، ومثل كوميديته : « الحسود السليط » التي اقتبس بعضها عن روايتين لموليير ، فخرجت بين التأليف والاقتباس والتعريب .. ويروى أن بعض المتزمتين ثاروا على هذه البدع ، وشكوا صاحبها الى الوالي التركي فأمر بايقاف التمثيل ، وبخاصة عندما زعم ان رواية هارون الرشيد بها تعريض بالملوك والخلفاء!. ولم يطل الاجل بمارون النقاش ومات في طرسوس عام ١٨٥٥ شابا في الثامنة والثلاثين .. « وخلف في أهل بلاده حب التمثيل ، ورغب بعض ادباء بيروت في هذه الصناعة فجعلوا يمثلون الروايات في المسارح الخاصة او في المدارس او في المسارح العامة .. » (٢)

وشب سليم النقاش محتذيا عمه مارون . فالف في بيروت فرقة قامت بتمثيلياته السالفة الذكر ، وأيضا بمسرحيات قام سليم بترجمتها وتأليفها .. وكان يعاونه في مسرحه أخوه نقولا النقاش الذي اشتغل فيما بعد بالصحافة ، واصدر ببيروت عام ١٨٨٠ جريدة أدبية سياسية باسم : « الصباح » .

ثم رأى سليم النقاش ان ينتقل الى مصر ، حيث كان المجال الفني اكثر رحابة ، والامكانيات اكثر يسرا ، والقيود التركية اقل وطأة .. ونزل بالاسكندرية في أواخر سنة ١٨٧٦ – وأواخر حكم اسماعيل – وكان هذا الخديوي معروفا بميله الى احتذاء الاساليب الاوروبية ومنها الفنون المسرحية ، وترحيبه بالفرق الاجنبية التي انشأ لها بالقاهرة « دار الاوبرا » مما دعا الفرق التمثيلية والموسيقية على مختلف اجناسها ومنها الفرق العربية الناشئة الى القدوم الى مصر ..

وكانت فرقة سليم النقاش تتألف عند قدومها من اثني عشر ممثلا واربع ممثلات (ويلاحظ اشتراك المرأة العربية في التمثيل على المسرح سافرات في ذلك الزمن).

واستدعى سليم صديقه أديب اسحق لمعاونته في التأليف والترجمة ، والتمثيل والادارة .. وكان أديب شابا في نحو العشرين ، فجاء الى الاسكندرية ، وتعاون الزميلان على العمل المسرحي ثم الصحفي الى نهاية حياتهما القصيرة (فقد توفي سليم عام ١٨٨٤ ولحق به أديب عام ١٨٨٥) .

وافتتحت هذه الفرقة موسمها التمثيلي على مسرح « زيزينيا » بالاسكندرية يوم ٢٣ من ديسمبر ١٨٧٦ ، ومثلت روايتي : « أبي الحسن المغفل أو هارون الرشيد» و «الحسود السليط» لمارون النقاش .. كما مثلت عددا

من المسرحيات التي ترجمها سليم النقاش مثل : « مي وهوراس » لكورني ، و «فيدر» و «متريدات» لراسين ، و «الافريقية » لسكريب ، و «عائدة» المقتبسة عن الاوبرا المعروفة و «الظلوم» المؤلفة .. وايضا من مترجمات اديب اسحق : «اندروماك» لراسين ، و «شرلمان» ، ومن مؤلفاته : مسرحية «غرائب الاتفاق» ..

وهكذا شهدت مدينة الاسكندرية في ذلك العام (١٨٧٦) وما يعده اول مسرح عربي حديث يقف الى جانب مسارحها الاجنبية المتعدده .. وان كانت القاهرة قد سبقت الى مشاهدة التمثيل العربي الحديث منذ ان أنشأ بها يعقوب صنوع عام ١٨٧٠ مسرحه العربي ، وقدم به خلال عامين نحو ثلاثين كوميدية ما بين مترجمة ومؤلفة ومقتبسة ، وذلك قبل أن يأمر الخديو اسماعيل بنفيه عام ١٨٧٨ متهما بالتعريض بالخديوي ، فرحل الى باريس وهناك اخذ يعارضه في صحفه .. (٣)

ويبدو ان فرقة النقاش واديب لم تلق ما املت من نجاح فانصرف صاحباها عنها الى العمل بالصحافة وبخاصة بعد ان حضرا ندوات جمال الدين الافغاني وعملا بارشاداته .. وتركا رئاسة الفرقة الى اكبر الممثلين فيها : يوسف خياط ، وباشرت الفرقة الجديدة عملها على مسرح زيزينيا في أواخر سبتمبر ١٨٧٧ ، ومثلت الروايات السالفة الذكر من تاليف وترجمة مارون وسليم النقاش واديب اسحق .. ثم انتقلت بعد ذلك الى القاهرة سنة ١٨٧٧ ، ومثلت مسرحية «الظلوم» على مسرح الاوبرا ، وهي التي ظن الخديو اسماعيل ان بها تعريضا بشخصه ، فأمر بطرد الفرقة من القاهرة . فانقطعت اخبارها نحو عامين ثم عادت في أواخر عام ١٨٨١ تتنقل بين الاسكندرية والقاهرة وبعض مدن الاقاليم .. (٤)

وبذلك يعد سليم النقاش من اقدم رواد المسرح العربي الحديث في الشرق ، وقت ان كان هذا الفن بدعة يتوجس منها الحكام ، ويناقش الناس ما اذا كانت التقاليد تسمح باختلاط النساء بالرجال وظهورهن سافرات على خشبة المسرح (٥) .

أما المسرحيات التي ترجمها سليم النقاش ، كي تمثلها فرقته – واهمها السالفة الذكر : هوراس ، ومتريدات ، والافريقية ، وعائدة – فانه كان على طريقة عصره ، يتصرف في الترجمة ، ويستخدم الاسجاع ، وينظم المقطعات الشعرية لتلحن ثم تغنى خلال التمثيل..

واهم تلك التمثيليات التي عني النقاد بفحصها رواية : «عائدة» فقد اقتبسها سليم النقاش ، وحورها ونظم بها الكثير من المقطوعات الغنائية – عن «أوبرا» عايدة الايطالية المشهورة التي اعدت لتمثل وتغنى في حفل افتتاح قناة السويس في شهر نوفمبر ١٨٦٩ ولكنها مثلت بدار الاوبرا بالقاهرة مساء ٢٤ ديسمبر ١٨٧١ – ووضع قصة «عائدة» في اللغة الفرنسية اولا ، عالم الاثار المصرية «ماريت» مستوحيا اياها من التاريخ الفرعوني القديم . ثم عهد بها الى مدير «الاوبرا كوميك» بباريس في ذلك الحين كميل دي لوكل فصاغها شعرا اوبريا .. ثم ترجمه من الفرنسية الى الايطالية الشاعر الايطالي «انطونيو غيزلانزوني» .. وبعدئذ لحنها الموسيقار المشهور جوزف فردي (١٨١٣ – ١٩٠١) ولكنه ظل مشرفا على تأليفها مقترحا الكثير من تفاصيلها ..

وقصة «عائدة» في جوهرها بسيطة واضحة تختلف عن غيرها من أوبرات فردي ذات التفاصيل المعقدة . وقد وضعت لتكون استعراضا مسليا ، وادت هذا الفرض كاملا .. وعلى الرغم من توغل القصة في القديم الاسطوري فان اشخاصها بشر في سلوكهم وطبيعيون فى عواطفهم ، كما ان عرضها يناسب المسارح الفخمة والمتواضعة لان لموسيقاها من العظمة ما ينسينا الاقتصاد في المظهر .(٦)

وقد عقد بعض الادباء مقارنة بين «أوبرا عائدة» في صيغتها الشعرية الايطالية ، وبين تمثيلية عائدة لسليم النقاش ، وابدوا أوجه الشبه والاختلاف ومن ذلك : (٧)

« ان اوبرا «عائدة» الايطالية نص اوبري كتب كله شعرا حتى يمكن تلحينه وموسقته وتحويله كليا الى عمل موسيقي كبير مستهدف في ذاته بمعنى انها اوبرا ، اهميتها الاولى في موسيقاها التي تحكم العملية الفنية بكل عناصرها حتى لتتقيد الحركة المسرحية بالمواقف الموسيقية التي يهيئها اللحن .. اما عائدة النقاش فكتبت نثرا مسجوعا ، ورصعت بمقطوعات من الشعر الصالح للغناء والتنغيم .. وكان يمكن للنقاش ان يكتبها كلها شعرا كالاوبرا ، ولكنه استجاب للذوق الجماهيري المعاصر الذي كان يفضل «الاوبريت» ، وجعل بها جوقات متنوعة تنشد وحدها او تحاور غنائيا جوقات اخرى او افرادا اخرين .. و«عائدة» في النص الايطالي ذات اربعة فصول وسبعة مناظر ، ولكن النقاش انشأها في خمسة فصول وخمسة مناظر مما دعا الى اختلاف توزيع الاحداث على أجزاء الرواية ، واختلاف المناظر وعدد الحوار والشخصيات .. ويتضح من تلك الفروق الكثيرة بين النصين ان العملية العربية التي قام بها النقاش ليست ترجمة او تحريفا للنص الاول وانما هي محاولة مجتهدة في تأليف عمل جديد من عناصر موجودة في عمل سابق .. » .

أما رواية «الظلوم» التي الفها سليم النقاش لتمثل في مسرحه ، فقد جعلها من خمسة فصول ، ووصفها بأنها : «دعجاء» اي أولها محزن واخرها مفرح تشبيها بالليلة الدعجاء التي يطلع البدر في اخرها فيكون أولها ظلام واخرها نور ..

وقد كتب هذه التمثيلية نثرا باللغة الفصحى ، يتخللها مقطعات شعرية منظومة قصد بها التلحين والغناء ، ينشدها فرد او جماعة .. وابطالها سلطان متوسط العمر ، ووزيره ، وفتى اسمه «اسكندر» كان يظن انه

ابن الملك ، وفتاة اسمها «أسماء» زعموا انها يتيمة ، وشاب اسمه «سليم» يحب «أسماء» .. وكانت الملكة قد وضعت طفلة وللملك رغبة في ان يكون له ولد ذكر ، فيعمد وزيره الى استبدال الطفلة بولد حديث الولادة فرح به قلبه . ولا يكشف عن الحقيقة الا في اخر الرواية، ويتزوج سليم بأسماء بنت الملك الحقيقية ، ويستجيب الملك اخيرا لتوسلات الحاضرين ، فيصفح عن المذنبين جميعا بعد ان أوشك على البطش بهم .. وقبل ان يسدل الستار يقول الملك للجميع : « واحذروا الظلم فان عاقبته بئس العاقبة » . ويشير الى اسكندر فيقول هذا لنفسه : « آه قد عرفت الان جسامة خطاي فقبح الله الظلم وكل ظالـم » !.

ولعل هذه العبارة التي تختم بها رواية «الظلوم» ، ما اثار غضب الخديو اسماعيل كما يذكر الرواة ، فأمر بطرد الفرقة التي كانت تمثلها على مسرح الاوبرا من القاهرة .. وهي كما سلف فرقة يوسف خياط التي تخلى عنها سليم النقاش وأديب اسحق ..

وقد عني بطبع رواية «الظلوم» عقب وفاة مؤلفها ، شقيق الفقيد يوسف خليل النقاش ، وذكر في مقدمة قصيرة لها :

« انه بناء على طلب كثيرين من محبي الادب ، قد طبعت رواية الظلوم كما مثلت امام الجمهور غير متعمد تغيير شيء فيها مما كتبه المرحوم شقيقي وان يكن وضعها للتمثيل لا للطبع . وشتان بين الامرين في نسق الكتابة كما لا يخفى. ولقد كان في نيته رحمه الله ان يراجعها وينقحها كما فعل في رواية مي وعائدة ؛ الا ان الاجل لم يفسح له في هذا الامر ، فتركها بين يدي شاكية سوء حظها . وأنا اقدمها لحضرات القراء على هذه الحالة ملتمسا منهم الصفح عما يرون منها من الزلل واغضاء الطرف عما يعثرون عليه من الخلل ، فان العصمة لله وحـده .. »

وقد طبعت بالقاهرة مرة اخرى على نفقة احد الوراقين . وخرجت كثيرة الاخطاء لا يعرف مدى صلتها بالاصـل (٨) .

غير ان أهم مؤلفات سليم النقاش هو كتابه التاريخي الكبير عن الثورة العرابية ، الذي عد به بين مؤرخي العصر الحديث ..

وقد عاصر سليم احداث تلك الثورة (١٨٨١ – ١٨٨٢) وشهد عصري اسماعيل وتوفيق ، فأرخ لتلك الايام في كتابه المسمى : «مصر للمصريين» الذي صدر في تسعة اجزاء ..

وقسم النقاش كتابه هذا ثلاثة اثلاث (٩) ارخ في الاجزاء الثلاثة الاولى للعصر الذي ظهرت فيه أسرة محمد علي الى أوائل عهد توفيق .. وارخ في الثلاثة الاجزاء الثانية لعهد توفيق حتى نهاية الثورة العرابية واحتلال الانجليز لمصر . وخصص الاجزاء الثلاثة الاخيرة لمحاكمات العرابيين .

« وطبعت الاجزاء الستة الاخيرة من هذا الكتاب (من الرابع الى التاسع) في مطبعة جريدة المحروسة سنة ١٨٨٤ قبيل وفاته . أما الاجزاء الثلاثة الاولى فقد اشار المؤلف الى انه سيبدأ طبعها بعد الانتهاء من طبع الاجزاء الستة الاخيرة ولكنها لم تطبع .ويقال انها طبعت، واعدمت بأمر الحكومة المصرية لانه تحدث فيها عن محمد علي واسماعيل بصراحة لم ترض عنها الحكومة » .

ويعد هذا الكتاب الموسوعي مرجعا هاما لتاريخ مصر الحديث ، وبخاصة لفترة الثورة العرابية ، لانه مليء بالوثائق الرسمية – عربية واوروبية – عن هذه الثورة ومقدماتها واحداثها ورجالها ، وعن موقف الدول من مصر ابان هذه الثورة وقبلها وبعدها ، وبصور البرقيات والقرارات والرسائل المتبادلة بين قناصل الدول الاوروبية والحكومة المصرية ثم بالخطب وقصائد الشعر ...

ومنذ عام ١٨٧٧ كان سليم النقاش يعمل في الصحافة – مهنة ورسالة – وشجعه على ذلك جمال الدين الافغاني حين كان سليم يحضر ندواته بالقاهرة فتعاون مع اديب اسحق على اصدار جريدة «مصر» ، وظهر عددها الاول بالقاهرة في ٣٠ يوليه ١٨٧٧ – اسبوعية سياسية ادبية – ثم نقلت بعد بضعة أشهر الى الاسكندرية في العام نفسه . وكان يكتب بها مع سليم وأديب عدد من اصدقائهما وعلى رأسهم الافغاني .

ومن ذكريات هذه الجريدة أو طرائفها ما كتبه سليم عنحوري في كتابه المسمى : « سحر هاروت » : (١٠) .

« بعد ان ذهب اديب اسحق الى الاسكندرية قصد تمثيل الروايات تحت رئاسة سليم النقاش ، سنحت عوارض قضت بالغاء التمثيل ، فأصبح اديب خالي الوفاض . فبعث به المرحوم حنين الخوري الى القاهرة مصحوبا بكتاب توصية الى جمال الدين الافغاني فأحسن هذا لقياه لما توسمه فيه من امارات الذكاء ومخايل النجابة . ولزمه ثمت ملازمة اللام للالف . فحصل له امتياز صحيفة اسمها «مصر» . واتخذ له دكانا بباب الشعرية ، هيا له فيها من أدوات الطبع بالحرف البولاقي المشهور ، ما قوى معه على اصدار تلك الصحيفة .وكان ينشر بها فصولا وأمالي بيراع جمال الدين الافغاني ومنشورة باسم «مظهر بن وضاح» جعلت لتلك الصحيفة شأنا مذكـورا .. »

ثم رأى اديب مدينة الاسكندرية أقرب لاصطياد الاخبار ، فنقل اليها ادارة الجريدة ، بعدما اتفق مع سليم نقاش على اصدارها بالشركة بينهما فتضاعف حينئذ عدد قرائها وزاد انتشارها في الاقطار العربية .

ولجمال الدين الافغاني في جريدة «مصر» مقالتان مشهورتان سمى احدهما « الحكومات الشرقية وأنواعها »،

والاخرى «روح البيان في الانكليز والافغان» كان لهما تأثير عظيم على أرباب السياسة الاوروبية حتى أن غلادستون رئيس وزارة انجلترا أثبت في بعض الجرائد مقالة تشهد لجمال‌الدين أنه من أئمة علماء الشرق حالة كونه من الد أعداء الانجليز .

ويقول فيليب طرازي في كتابه «تاريخ الصحافة العربية» : (١١)

« واشتهرت جريدة «مصر» بمقالاتها الضافية في تعريف الوطنية ، والدعوة الى الاعتدال في الحرية ، فانها بلغت وهي في سن الطفولة ، مقام الكهول وصار لها من الراغبين في مدة أشهر ، ما لم يجتمع لغيرها في أعوام.. وهي الجريدة الاولى التي وردت فيها كلمة «مصر الفتاة»، ثم درجت بالاستعمال عند أرباب النهضة المصرية ... »

وفي الاسكندرية أصدر سليم النقاش وأديب اسحق العدد الاول من جريدة «التجارة» اليومية في ١٥ مايو ١٨٧٨ ، على أن تصدر جريدة «مصر» اسبوعية .. وكان الافغاني يكتب أحيانا في هاتين الجريدتين ، كما كتب فيهما الامام محمد عبده ، وعبدالله النديم ، وابراهيم اللقاني (المحرر بجريدة «مرآة الشرق» بالقاهرة لصاحبها سليم عنحوري) .

ويؤرخ جورجي زيدان لهذه الجريدة في قوله : (١٢)

« ان هذه الجريدة مع شقيقتها «مصر» كانتا من أعظم أركان النهضة الانشائية في الجرائد . وتحداهما الكتاب ، ونسجوا على منوالهما في أساليب التحرير البسيط الخالي من التعقيد و التقييد ، فأحدث ذلك حركة في الافكار ، وحرية في الاقوال - لم تكن معروفة من قبل - فأصدرت الحكومة أمرها بالغائهما .. » (يقصد رياض باشا رئيس الوزراء) .

كما يؤرخ لهما معاصرهما سليم عنحوري بقوله :(١٣)

« ان الشيخ محمد عبده وابراهيم اللقاني كانا يخدمانها قلما وسعيا ما استطاعا الى ذلك سبيلا . وكان الشيخ جمال‌الدين الافغاني يواصلها بشذرات من قلمه البديع ، وخطرات من فكره حتى كان سبب شهرتها ، كما كانت بتعظيمها له في النعوت والالقاب من مثل : (مهبط أسرار الحكمة ، واسطرلاب تلك العلوم) الى غير ذلك مما اعتادت ان تصفه به ، سبب نماء شهرته ، وانتشار صيته .. وكان بعض أدباء الاسكندرية الموسرين يجودون بسناء لمساعدة هذه الجريدة التي بلغت حد الشهرة والانتشار .. »

ولا حاجة بنا ان نذكر ما كانت عليه من الانحياز الى جانب المصريين . فان ذلك لا يزال معروفا بين الناس... ولما كان مشرب «التجارة» لا يوافق هوى الحكومة اذ ذاك ، أخذت الحكومة في معاكسة صاحبيها بموالاة الانذارات اليهما . وانتهى الامر بالغاء الجريدة .. »

وكان السبب في اغلاق هاتين الصحيفتين انتقادهما العنيف لحكومة رياض باشا .. وكان الخديوي توفيق قد تولى الحكم في ٨ من اغسطس ١٨٧٩ خلفا لابيه المعزول اسماعيل ، وأراد الاستئثار بالحكم ، ولم يقبل مشروع رئيس وزرائه شريف باشا في جعل الحكومة نيابية دستورية ، وعين مكانه مصطفى رياض باشا ، وزاد نفوذ الدول الاجنبية ، وزاد السخط بين الفلاحين ورجال الجيش مما أدى الى قيام الثورة العرابية بعد وقت قصير.

فلما احتجبت جريدتا التجارة ومصر عام ١٨٧٩ سعى سليم النقاش وأديب اسحق في استخراج ترخيص بانشاء جريدة جديدة باسم «المحروسة» ومما يذكره طرازي (جـ ٣) عنها «..ثم طال المطال في ذلك فكتب أديب الى علي باشا مبارك ناظر الاشغال العمومية يومئذ يتقاضاه وعد الحكومة ... وظهرت في اوائل سنة ١٨٨٠ - اسبوعية .. وكان يحررها سليم النقاش بمساعدة بعض الادباء كعبدالله النديم ، والشيخ محمد عبده ، وابراهيم اللقاني ، وأديب اسحق ، وامين البستاني ، وجرجس نحاس ... ويراسلها من بيروت الشيخ اسكندر العازار بمقالاته المشهورة ... وأول فصل كتب فيها كان داعيا لتعطيلها .. » .

فأصدر سليم بدلها جريدة باسم : « العصرالجديد» ظهر عددهاالاول في ٨ يناير ١٨٨٠ مقتفية اثر «المحروسة» في سياستها الوطنية وفي الدفاع عن مصالح العرب .. «ثم عفا الخديوي توفيق عن جريدة «المحروسة» فعادت الى الظهور يومية .وبقي «العصر الجديد» يصدر اسبوعيا حتى بدت طلائع الثورة العرابية فاحتجبت الجريدتان بعد ضرب الاسكندرية في ١١ يونيه ١٨٨٢ .. »

وفي خلال الفليان الذي عم الاسكندرية بسبب تدخل الاسطول الانجليزي وضربه المدينة بالقنابل ، احترقت مطبعة المحروسة فيما احترق من بيوت ومنشآت، وعندما انتهت حوادث الثورة طالب أصحاب الجريدة أمام

---

(١) كلمة عن أديب اسحق - لنقولا يوسف - مجلة الاديب - مارس ١٩٦٦ ص ٢٦ (٢) كتاب : « تاريخ آداب اللغة العربية» لجورجي زيدان ج ٤ ص ٢٤٨ و «معجم المطبوعات العربية» لسركيس - عن حياة سليم النقاش .ومقالة : «الاعداد المسرحي عند مارون نقاش» لعبده دياب - مجلة المسرح فبراير ١٩٦٥ (٣) و (١٢) كتاب : « مشاهير الشرق في القرن ١٩» ج ٢ ص ٧٥ لجورجي زيدان (٤) «يعقوب صنوع والمسرح» - د . محمد يوسف نجم - بيروت ١٩٦٣ (٥) كتاب «المسرح» - د - محمد مندور - القاهرة ١٩٥٩ ص ٢٨ - ٣١ (٦) كتاب «اوبرا» لادوار ج دنت - بليكان ١٩٤٩ ص ٩٥ (بالانجليزية) (٧) مقالة عن : «عايدة بين فردي والنقاش» - المجلة - بالقاهرة عدد اكتوبر ١٩٦٢ لابراهيم حمودة (٨) رواية : «الظلوم» تأليف المرحوم سليم النقاش - ط ٢ على نفقة محمد صالح الكيتي بالقاهرة (٩) «المؤرخون» السوريون في مصر في القرن ١٩ » مقالة - د. جمال‌الدين الشيال - المجلة - بالقاهرة نوفمبر ١٩٥٨ (١٠) و (١٣) «سحر هاروت» - سليم عنحوري ص ١٧٩ - ١٨٠. (١١) «تاريخ الصحافة العربية» فيليب طرازي - ج ٣ ص ١٣ بيروت ١٩١٤ .

جنون

غلا حسي فاسلمني طويلا
الى أوهام ممرور عليل
يرى ما لا تراه العين جهرا
ويسمع رعشة النور الضئيل
ويزعم أنه هادي البرايا
وما هو بالنبي ولا الرسول
وأصوات أحس بها تحاكي
نوائح ينتحبن على قتيل
أسد مسامعي عنها فتمضي
مغلغلة وتمعن في الدخول
وأشباح تعايشني كاهلي
بلا رأي رأيت ولا حويل
تظل ترود من حولي تباعا
غريبات منوعة الشكول
فمن قزم له رأس كبير
وأنف مثل عرجون النخيل
يكايدني ويهرب من أمامي
الى الآفاق كالريح الجفول
ومن حدب تمر على التوالي
ومن عرج ومن عور وحول
أواخذ بعضها برقاب بعض
كما قطر الذلول الى الذلول
سواخر ان غدوت بشر حال
من الضراء والعيش الذليل
وأقتل ما أكابده عجوز
تدب الي كالضبع الاكول
مشوهة لها وجه قبيح
وقد ناحل كعصا المليل
أرد الطرف عنها وهي فيه
وكيف فرار ذي الداء الدخيل
وغانية تراءت لي رداح
كهم القلب بيضاء التليل
أحب دنوها وتحب بعدي
وترغب في الشباب عن الكهول
وطفل خلته ولدي صغير
جميل الوجه في ثوب جميل
فتحت له ذراعي اشتياقا
لأشفي من محبته غليلي
فأعرض نافرا مني وولى
وأسلمني الى الحزن الطويل

فظائع لا أطيق لهن دفعا
تقود بصيرتي قود الذليل
تراها رجع آلامي وحبي
وما ألقاه من دهري البخيل
أم النجم الذي ألقى طويلا
خيوط النور آذن بالأفول

حلب
عمر ابو قوس

المحاكم تعويضا عما لحق بها من الخسائر بسبب الحريق، وحكم لهم بمبلغ أربعين الف فرنك .. وعادت «المحروسة» الى الظهور وحدها عام ١٨٨٤، وفي أواخر ذلك العام صدرت اسبوعية حتى وفاة سليم النقاش، واشتهرت بمناظرتها السياسية لجريدة «الاهرام» اذ كان شعار المحروسة «مصر للمصريين» (وهو العنوان نفسه الذي وضعه سليم على كتابه التاريخي الكبير كما سلف)، بينما كانت الاهرام يومذاك تدافع عن مصر وتجامل الحكومة الفرنسية.

ولما توفي سليم النقاش عام ١٨٨٤ وتولى والده خليل النقاش ادارة «المحروسة» فأصدرها يومية مدة سنتين . ثم توفي عام ١٨٨٦ وكان قد باعها قبل وفاته الى يوسف آصاف ونسيبه عزيز زند اللذين نقلا ادارتها ومطبعتها الى القاهرة سنة ١٨٨٧، ثم آل امتيازها الى ادريس راغب، واخيرا في يناير ١٩٠٩ الى الياس زيادة والد الكاتبة مي. .الى ان انقضى اجل تلك الجريدة بعد ان كافحت اقلامها اكثر من أربعين عاما . ودخلت مثل الكثيرات من اخواتها في مسارب التاريخ ..

هذا الى ان سليم النقاش كتب في بعض الصحف العربية الاخرى ـ ومنها جريدة « المصباح » التي أنشأها في بيروت ١٨٨٠. شقيقه نقولاالنقاش المتوفي عام ١٨٩٤ ـ وحرر بها ايضا اديب اسحق ..

كما انه كان عضوا في جمعية «مصر الفتاة» التي انشأها بالاسكندرية عدد من الادباء، وفي مقدمتهم جمال الدين الافغاني، وعبدالله النديم، واديب اسحق، ونقولا توما ..وغيرهم... وكان غرضها المطالبة بحقوق الشعب ومقاومة استبداد الخديوي، وكانت تنشر اخبارها بجريدة «مصر» ..

الاسكندرية
نقولا يوسف



عبدالعزيز جادو

قيمة التأمل

بقلم عبدالعزيز جادو

* * *

انا – حسب الدراسات النفسية اليوم – وارثون شرعيون لكل شيء .. لكل ما يمكن أن يكون ضروريا لنا .. ويقتضي الامر تبعا لذلك ان نحصل بكل حرية على كل ما نحتاج الى استعماله .. نأخذه على أنه أمر عادي وطبيعي .. ولم يبق الا نحن انفسنا الذين في حاجة الى من يدفعنا ويستفزنا الى ذلك .

وعلى ذلك فمن المعتقد ان اكثر الخير انما يأتي من خلوتنا والانفراد بأنفسنا في هدوء ساعة او بعض ساعة من حين الى اخر .نوجه فيها الذهن لمعرفة بواطن النفس ومكنوناتها ، ومعرفة خفايا الاشياء التي تحيط بنا . فهذا التأمل يكسبنا معرفة واضحة من حيث طبيعة هذه الاشياء وعملها وتأثيرها .

واعتقد أن هذا لا يحتم علينا ان ننغمس في هذهالحال ونعكف عليها اكثر من مرتين في اليوم ، مرة في الصباح وأخرى في المساء .

وفي هذه اللحظات الهادئة يتعين عليك ان تتصور بفكرك ، أو بوساطة الكلمة المنطوقة ، التغييرات التي ترغب في احداثها . وان تتخيل الوصف التصويري للشخص الذي ترغب في أن تكونه .ولكي تتم هذه الايحاءات على خير وجه يستحسن ان ترقد في وضع مريح ، هادىء ، وتستمع الى ذلك «الصوت الداخلي» .. صوت الحكمة . ويأتي هذا في الغالب مما يسميه البعض «البديهة» أو المشاهدة العقلية . فاذا أتى هذا التأثير او الانفعال الذي تتلقاه متفقا مع «العقل» ، فمن الخير لك أن تطيعه وتتبعه بكل دقة .

تخيل نفسك كما لو كنت وسيطا ترسل بوساطته الطاقة العالمية .. وافتح الابواب على آخرها لهذه الطاقة ، وستجد نفسك عند استيقاظك اكثر قوة واكثر نشاطا . وستشعر بزيادة في عافيتك . وسترى أن عزمك وقصدك قد ازداد ايمانا وايجابية وستواجه الحياة باتجاه اكثر مرحا واكثر بهجة .

ومن الافضل ان تخلو الى نفسك في اوقات معينة . وانسب الاوقات التي يمكن ان تتخيرها هي في الصباح الباكر قبل مغادرتك الفراش ، وفي المساء قبل أن تغمض عينيك لتنام .. وحاول أن تشعر بتلك الكلمات التي تتفوه بها . رددها بطريقة مؤثرة على قدر ما تستطيع .

وبما أن الدوشعورية (1) لا تملك اية قوة استدلالية أو تفكيرية ، لذا فادخل فورا بما يستحق الاعتبار في تحديد التغييرات الضرورية بالتفصيل وبكل ايضاح .

والعقل اللاشعوري بؤرة العادة .. وفي امكانه ان يعبر عن بعض العادات السيئة .

وحياة الحب تعبير لهذا العقل اللاشعوري . وأنت تعرف بطبيعة الحال كم من الاحلام ما تراه تافها ، وكم منها ما تراه في بعض الاحيان مستحيلا .

الضعف ناشىء عن العادة

ان أكثر ما فيك من صفات الضعف والعجز ناشىء عن العادة . ولذا فمن الاهمية بمكان خلق عادة جديدة للتفكير وللعمل مع هذه الذات اللاشعورية .

والعادات انما تتكون عن طريق التكرار . ومن هنا تأتي الضرورة القصوى لكي تكون امينا ومخلصا في تأدية ايحاءاتك . والدوشعورية معتادة جدا على الالفة والائتلاف ، وعلى الاتزان والانسجام . فاذا انت خلقت ايقاعا جديدا واهتزازات جديدة ، فستحصل على النجاح .

واذا أنت عقدت أواصر الصلة والمودة مع وعيك الباطن وادراكك اللاشعوري الذي يطلق عليه علماء النفس «الدوشعورية» فستجني فائدة عظيمة ما كانت لتخطر على بالك في جميع الاحوال . فكل شيء سبق ان قراته ، أو رايته ، أو سمعته ، او شعرت به ، مخزون في هذا الطور من العقل .

ومعنى هذا أنه عن طريق صلة المودة والالفة مع هذا الطور من العقل ستجد امامك موسوعة كبيرة عن حياتك ، يمكنك ان تستمد منها ما تشاء من المعلومات كلما احتجت الى ذلك . ولذا فمن اليسير على العقل اللاشعوري أن يجمع لك وثائق معينة ، وشواهد خاصة ، في صورة تجربة ماضية ، ويمدك بها بطريقة معينة .

وثمة خدمة جليلة يمكن ان يؤديها لك عقلك اللاشعوري هي : مادة الممارسة والفهم . وهذه يمكن

بدورها ان تكون المستشار الامين ، والناصح الهادي الحكيم .

وباتباع هذه الخطة على الوجه الاكمل ستحصل دائما على نتائج طيبة ، مثمرة ، عظيمة الاهمية .

واذا تعلمت كيفية استعمال قواك اللاشعورية بطريقة منتظمة ستجد لذة ومتعة في حصولك على ما ترغب بسهولة وبلا عناء .

واحترم «الصمت» لكي يرفعك ويرقيك ويشرفك ويعلي قدرك . فالذين يشكون الفقر والعوز ، ويتحسرون على اخفاقهم الذريع في الحياة ، ويندبون سوء حالهم وخيبة آمالهم ، هم الذين لم يوفقوا في توثيق هذه الصلة الروحية ـ صلة العبد بربه ، والتوجه اليه بقلب سليم . فمن هذه الصلة تنبثق كل معاني الخير والفضل والكمال في الحياة .

والسبيل الى القوة والمنعة ، انما يكون دائما عن طريق هذه الصلة الروحية التي يعززها هدوء النفس وسكينتها ، وصفاء الروح .

ويتحتم على المرء ايضا ان يكون على صلة وثيقة بمركز فرديته لتعزيز شخصيته . كما ينبغي له في الاوقات التي يرتفع فيها دوي العجلات وسيور الالات اللامنظورة ، أن يكون بمثابة «الدينامو» . وأن يفرق في صخب الحياة الموضوعية وضوضائها اذا اراد ان يعرف طاقات الكون الهائلة التي تخفى على الرجل العادي .

واذا استطاع هذا الانسان ذاته ان يرتب نفسه حسب فعل القوى الخفية ، اللامنظورة ، فانه سيغدو ولا شك «محركا ديناميكيا» **ذا قوة هائلة جبارة** .

والصلاة ، التي هي جزء من العبادة في جميع الاديان ، ان هي الا صلة العبد بخالقه ، وهي احدى الوسائل التي يتوسل بها للتقرب اليه تعالى .

والصلاة معناها الدعاء بحسب اصل استعمالها اللغوي . والدعاء وسيلة من وسائل التقرب الى الله كذلك . وقد جاء في الحديث الشريف : «الدعاء هو العبادة » .

فاذا صفت نفوسنا ، وسمت ارواحنا ، كنا أقرب اليه من حبل الوريد ، « واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني». فهو اكرم مسئول، واكرم على عباده من ان يعلق استجابته على شرط الا مجرد الايمان به وبرحمته ، وبذلك يقول القرآن الكريم : « وقال ربكم ادعوني استجب لكم» .

ولكن هناك الكثيرون ممن يباشرون هذه الصلة بطريقة مخطئة فتبعدهم عن القصد ، وتنأى بهم عما يبتغون من فضله ورضوانه .

ان اذل الذل ، واهم الهم ، واظلم الظلمة ، ابتعاد العبد عن ربه . واعز العز ، وانور النور ، واقوى القوة ، قرب العبد من ربه . وفي وسط أعاصير الحياة التي تتلاعب بقمم الجبال وتخلع القلوب بهولها لا يكون الا الله .

وانها لطريقة واحدة للدعاء المستجاب ، وللصلاة المقبولة التي نعدها منبعا للقوة والجاه . وعن طريقهايمكنك ان تصل الى قمة المجد ، وتبلغ ما تصبو اليه نفسك من الرفاهية . هي المداومة على العبادة بغير انقطاع ابتغاء مرضاة الله . فالعبادة كنز سعادة قلب المرء . وفي هذا المعنى يقول وليم جيمس : « ان بيننا وبين الله رابطة لا تنفصم ، فاذا نحن اخضعنا انفسنا لاشرافه ـ سبحانه وتعالى ـ تحققت كل امنياتنا وآمالنا » .

والطريقة المثلى التي ترفع قدر الانسان هي أن يتجه الى الله بقلب صاف سليم ، وفؤاد منيب ، عابدا اياه كأنه يراه .. وان يكون صوته بين المخافتة والجهر ، « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا » (٢)، وأن يحزم الدعاء ، ويوفق بالاجابة ، ويصدق رجاءه فيه، « ادعوا وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب الدعاء من قلب غافل» (٣) ، وان يلح في الدعاء ، « اني احب عبدي اللحوح (٤) ، وان يكون فيكل الاحوال متضرعا خاشعا ، تتملكه الرغبة والرهبة كما يقول تعالى : « ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين» (٥) . وكما يقول ايضا : « واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة» (٦)

وما أروع قول الدكتور «الكسيس كاريل» الحائز على جائزة نوبل في كتابه «الانسان.. ذلك المجهول» : «لعل الصلاة هي أعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت الى يومنا هذا . ان الصلاة كمعدن (الراديوم) مصدر للاشعاع، ومولد ذاتي للنشاط .. وبالصلاة يسعى الناس الى استزادة نشاطهم المحدود ، حين يخاطبون (القوة) التي تهيمن على الكون ، ويسألونها ضارعين أن تمنحهم قبسا منها يستعينون به على معاناة الحياة . بل ان الضراعة وحدها كفيلة بأن تزيد قوتنا ونشاطنا ، ولن تجد احدا ضرع الى الله مرة الا عادت عليه الضراعة بأحسن النتائج».

الطلب والالتماس

والطلب الذي يأتي منك الى احد الناس على هيئة التماس ، أو يقدم بصيغة رجاء ، انما هو دليل الضعف والاستكانة . فالقائد لا يلتمس ولكنه يأمر . والرجل القوي الذي يحس بقوته ، ويشعر بكيانه يقول لنفسه « هذا سيتم عمله » ، وهو اذا قال فعل ، اما الرجل الضعيف الذي يحس بضعفه فيقول : « آمل أن انجح ، وأن لا يصيبني الاخفاق في عملي» .

والرجل القوي لا يزهو بنفسه ، ولا يتباهى ، ولا يتشامخ بانفه ، ولا يمشي في الارض مرحا كما لو كان يقول : « يا ارض اشتدي ما عليكي قدي».. انه يرهب ، وقد يلقى الروع في قلوب الاخرين ، ولكن بطريقة هادئة مهذبة ليس فيها خدش للحياء ، أو عنف ، أو قسوة ، أو جفاء .

والخلق القوي هو الخلق الهادىء ، الحازم الرزين ، الذي يعمل صاحبه بهدوء واتزان ، دون جلبة أو ضوضاء . يتعدى للطوارىء والنوائب بحزم ، وصبر ، واناة . ويقابل الصعاب بالتبصر والتدبر ، والحيلة ، والحذر ، والنظر في العواقـــب .

طـرق ومسالـك

ان الازقة التي تتفرع من الشارع الطويـل عندمـا يجوس الفرد خلالها ، ويسير في دروبها الملتوية ، تكون الخبرات والتجارب ضرورية كلها ، حتى وان كانت في بعض الاحيان ضارة ومؤذية ، الا انها تقوده فـي النهاية الى الطريـق الرئيســي .

ولقد تجولنا جميعا في مثل هذه الازقة غير آسفين على التجارب التي قادتنا اليها ، فلقد تعلمنا منها الكثير . ورأينا أن هناك من لا يزال متباطئا في سيره ، متريثا . وهو بذلك يبدد الكثير من وقته ، ولكنه مع ذلك متحقق تماما من عودته ، ومن نصره الحاسم في نهاية المطاف أو في آخر «المشوار» .

وهناك من لا يخرج من وعثاء الطريق الا بقـدر مـا يخرج الخابط في ليل ليتعثر مرة اخرى في الظلام الدامس.

وهناك من ينظر الى مثل هذه الازقة كانمـا هـي محفوفة بالاخطار بعكس ما كنا نراها . وهؤلاء لا يستحقون مدحا أو ثناء حين يقولون : « الخير كل الخير أن نـلازم الطريق الرئيسي اذا امكننا ان نفعل ذلـك ، فنستريـح بالنا » . أما الذين سلكوا كثيرا من هذه الازقة بخبراتهم المختلفة ، وتجاربهم المتباينة فقد يكونون أحسن استعدادا لملء مكان كبير في الحياة. وهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم المثل العامي : « اللي يعيش ياما يشوف ، واللي يمشـي يشوف اكثر » .

كان والدي ــ حسب العادة التي اعتادها في تبصيري حين كنت طفلا صغيرا ــ ينهاني عن اللعب مع أولاد بعينهم يطلق عليهم «اولاد الشارع» . ولكني مع مرور الزمن اتيحت لي فرصة لاحظت فيها تنشئة هؤلاء الاولاد بالذات ومدى تطورهم ، فوجدت اكثرهم نشأ مستقيما ، قويمـا ، ذا شهرة واسعة ، وسمعة طيبة ، ولاقى نجاحا وتفوقا عـن طريق الثقة التي كونتها فيه تلك التجارب .

وليس من شك في أن هناك بعض الازقة التي يجب أن نتحاشى السير في مجاهلها لانها قد تكـون محفوفـة بالاخطار ، وقد تقود الى «مطبات» مروعة ، أو منحدرات وحفر مخيفة . وقد تعترض طريقنـا أوديـة ضيقـة ، ووهاد مظلمة . وقد يكون أسوأ ما فيها تلـك العلامـات القليلة التي تحذر الشخص من الخطر .

وعندما نقترب في رحلتنا من الوصول الى الوجهة المقصودة تتعدد الاهداف . شأنها كشأن الانهار العظيمـة حين تنقسم في بعض الاحيان قـرب المصـب لتكـون الدلتات . (٧) وكل من هذه الدلتات يقود ــ عن طريـق قناة أو «قناية» طويلة او قصيرة ــ الى نفس النهاية .

والطريق المختصر او «التخريمة» هو الطريق المفضل عن غيره في جميع الاحوال . ومع ذلك فليـس لنـا أن نستخف بالطرق الطويلة او نستهين بها ، حتى ولو جد في طلبها او في البحث عنها في كثير من الاحيان مسافر اشعث اغبر اضناه التعب من كثرة التجوال .

وثمة طرق كثيرة تقود الى نفس الغرض ، وهـي انما تعتمد على نوع العقل فيما يتعلق بأي الطرق يمكن ان يتخيرها الفرد . والتوصل الى معرفة هذا يجعل الشخص اكثر تسامحا واكثر صبرا ، وذا أناة واحتمال .

فاذا كان لنا غرض بعينه نريد التوصل اليه ، فـلا يتأتى ذلك ــ كما اعتقد ــ عن طريق التأمل وامعان الفكر فحسب ، وانما بوساطة فعل يعبر عن دوافع مخبوءة في اعماق طبيعتنا ، وهذه يمكن ان تكون طموحـا للتفـوق والبراعة في الموسيقـى ، او النحـت ، او الادب ، او القانون ، ويمكن ان تكون مشاركة في صفات اعلا ، معلنة عن نفسها لتبدو كرغبة جادة للتعريف بحقيقة كبيرة جاءت لتعزز البشرية ، وتشرف الانسانية ، وتعلي قدرها .

واذا نظرنا أمامنا وجدنا كثيرا من العقبـات تعتـرض طريقنا . فالبيئة المتشائمة التي تشيع الحزن وتبعث على الاكتئاب تحيرنا في أمرنا وتعرقل سعينا ، وتشوش على عقولنا . فاذا اضطررنا مكرهين للاستمرار والمثابرة على « طحن » العمل الغير متجانس ، فانما لكي نعول أنفسنا وأولئك الذين يعتمدون علينا ، فكيف يمكننا ان نحقـق نجاحا مع وجود كل هذا في طريقنا ؟..

كيف نحقق نجاحا اذا كانت سموات آمالنا تبـدو قاتمة ، كئيبة ، ورؤيتنا المنطقيـة المعقولـة لا تـرى الا بصيصا من نــور ؟

واذا كان العمل على غرس الرغبة المضطرمة ــ كمـا قلنا ــ هو بمثابة وعد بنيل مكافأة مناسبة ، وتعهد بتقديم ترضية مجزية ، فكيف يكون هذا ؟..

معاهـدة مـع الانـا

في مثل هذه الحالة نرى أن العمل الرئيسـي الاول الذي يتعين علينا القيام بتنفيذه هو الوصول الى تفاهـم واتفاق ودي مع الانا (٨) . على ان نلقي بكل ما في طبيعتنا من طاقة على الجهد . وعلى أن نضع ايماننا تحت اشرافنا. وبمعنى آخر ، ندخل في اتفاق مع أنفسنا ، لعرض كل جهد نبذله ، لنحصل به على الجائزة التـي نستحقهـا ، ونحقق « مادة الشيء المرجوة » .

واذا كنا لم نستطع أن نـرى الطريـق ، او نميـز معالمه ، فلأن هناك امرا ينبغي لنا ان نفعله ، هو أن نكـف

---

(١) الدوشعورية : الوعي الباطن ــ الادراك بلا وعي أو شعـور .
(٢) سورة الاسراء . (٣) حديث . (٤) حديث . (٥) سورة الانبياء .
(٦) سورة الاعراف . (٧) الدلتات : جمع دلتا . (٨) الانا : أو الذات، الفرد من حيث هو شاعر بهويته الثابتة المتصلة ، وبصلتـه بالبيئـة الخارجية . وبستعمل الانا عندما يقابل بينه وما سواه ، اي الغير .

عن الاسهاب فيما نبتغيه من نجاح قبل أن نحققه ،ونعمل بالحديث الشريف : « واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان ». ونؤكد تجديد ايماننا في كل يوم ، وفي كل وقت ، كلما استطعنا الى ذلك سبيلا ، بكل ثقة ، وبكل اعتزاز . ولا بد سيأتي بعد ذلك الوقت المناسب الذي يتكشف لنا فيه الطريق شيئا فشيئا ، وتبين لنا معالمه ، وتتسع امامنا آفاقه ، وسنجد انه يقود رأسا وبلا وساطة — من خلال البيئة الحالية المعادية — الى غايتنا التي نقصدها .

وليس من حقنا أن نرجو او نؤمل ان تنزل علينا الملائكة بمائدة من السماء عليها ما تشتهيه أنفسنا من طعام وشراب . وليس لنا ان ننتظر ان تأتينا طير من السماء وفي مناقيرها خبز يفي بحاجاتنا ، ويزودونا باحتياجاتنا التي يمكننا نحن انفسنا ان نوفيها ، ان كنا مخلصين . فنحن يجب علينا ان نعمل جادين ، مجدين ، متحمسين، كلما وجدنا تحت أيدينا ما نؤديه .

ان أولئك الذين يتصفون بالايمان والصدق علاوة على اهتمامهم بتأدية الواجبات الصغيرة التي ائتمنوا عليها ، وعهد اليهم بها ، في حينها وكأحسن ما يكون الاداء ، هم الذين سادوا وسيطروا وملكوا ناصية الامور.

والفرد من هؤلاء اذا تم له هذا ، تنتابه رعشة أو شعور بشبه رعشة في امكانها تلقف اهتزازات نافعة تجعله عضوا بارزا ، ذا ذكاء خارق ، ومقدرات مختلفة ، وقوى عقلية ممتازة ، تتيح له ان يضع يده على كل ما يراه مناسبا له ، وتجعله قادرا على أن يستعمل لمنفعته كل ما يلائمه .

أما اذا لم يتمكن الفرد من التوصل الى هذه الدرجة، فانه لن يستطيع ان يستمرىء غذاءه اللازم ، او يستوعب قوته الضروري من البيئات التي تكتنفه ، او مما يحيط به من منابت .

ان كل ما نحتاج اليه قريب منا ، وتحت متناول أيدينا ، ولكنه لن يكون ذا نفع او فائدة ما دمنا غير موفقين ، أو حتى غير مستعدين لتمييزه ، والتحقق منه، والاعتراف به ، ثم الانتفاع به ، والاستفادة منه .

فعلى الفرد أن ينتهز الفرص كلما سنحت له .وبقدر ما يكون مخلصا ، أمينا في استعمال ما يتاح له من هذه الفرص — حين تواتيه — يكون الزاد عظيما ، والامداد وافرا غزيرا .واذا هو استعمل القليل الذي يملكه بحكمة وتعقل ، فسرعان ما يزيد ويربو ويؤتى أطيب الثمرات .

اذكر هذه القوانين :

١ — التوافق ضروري لجعلنا اكثر ادراكا ، واكثر وعيا . فهو — أي التوافق — تكييف المرء نفسه وفقا للبيئة بصورة تضمن له تحقيق احتياجاته ومطالبه بشكل مقبول اجتماعيا وشخصيا .

٢ — علينا أن ننتهز الفرص التي تواتينا كلما سنحت لنا ، ونستغلها الى اقصى الحدود ، وبقدر ما نستطيع .

٣ — يتعين علينا ان نتمسك بالموضوع الذي نامله ونتمناه ، ونتخيله له امامنا — عن طريق التصور العقلي — كأننا نقتنيه فعلا وكأنه في حوزتنا .

تلك هي القوانين ، أما النتائج فمؤكدة محققة .

أما فيما يتعلق بالبيئة ، فيمكن القول بأنه ينبغي لنا أن نكون ايجابيين مع الكل ، ما عدا العقل اللامتناهي . ففي لحظات الصمت يجب ان نكون سلبيين ، مفتحين عقولنا لمؤثرات اسمى وأرفع منزلة ، ولنستقبل بترحاب ومن صميم قلوبنا كل ما يأتي الينا . فهذي هي لحظتنا للتأمل والنمو .

اما الحكمة الدائمة ، السرمدية ، المخبوءة في الوعي الباطن ، فهي التي توجه وترشد بكل سهولة ، النفس النشيطة ، «المنطلقة» .

فلا تبدد الوقت في انتظار عقيم . فالذين يبطئون دائما في الطلبات يظلون في أماكنهم لا يقدرون على تحقيق اي تقدم او نجاح .

والرجل العبقري الفذ ، الذي أوتي مضاء العزم ، وشجاعة القلب ، وصحة التقدير والحكم ، والتفوق المذهل لسرعة حركة الذهن ذو العين الحادة ، والنظر الثاقب ، الذي يتطلع بيقظة وبكثير من التوقى والحذر الى العلامات والشارات ، هو الدؤوب على الاستمرار في تنقله وتحركه من مكانه قدما الى الامام .

وهكذا لا بد ان يمضي الانسان في دروب الحياة . . يتذوق من صابها واوصابها . . وليساير الركب ويحتذيه . . بل ليصل الى مدارج الرقي والرفعة . . ويتسنم ذرى المجد والسؤدد .

قد تكون الرحلة التي نقوم بها محفوفة بالمصاعب والمخاطر ، محوطة بالمحن والاحن والشدائد ، ولكنها ستقودنا على أية حال ، بطريقة منزهة عن الخطأ ، من أودية الاكتئاب واليأس والقنوط ، الى القمم العالية ، والذرى الرفيعة ، المنيعة .

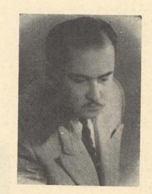
وفي هذا المعترك من الحياة الناشطة ، علينا ان نحافظ على مراكزنا وسمعتنا ، ونحصن أنفسنا بالايمان الصحيح ، ونتقدم الى الامام بحزم وعزم وثبات . وبهذا نكون قد اقمنا حالات أكثر نفعا ، واكثر موافقة للهداية والرشاد .

ان السفينة التي تنشر اشرعتها ثم تنزلها ، ثم تعيد نشرها وطيها بتردد وعدم اطمئنان ، دون أن يكون لديها الجرأة لمواجهة الريح ، ستخفق حتما في الوصول الى الميناء الذي تقصده . أما اذا كان هناك اقتناع بأن الرياح ، ولو كانت معاكسة ، هي ذاتها مصدر القوة ، فان السفينة حين تمخر عباب البحر الواسع ، ناشرة قلوعها باستمرار ، حتى ولو كان من الضروري طيها ، يمكنها أن توجه بسرعة وبخفة ، وبكل ثقة وثبات واطمئنان الى مرفأ السلامة والامان .

الاسكندرية — عبدالعزيز جادو

تمنيـــات

فؤاد الخشن



أتمنى مرة
أن تسهري
وتذري
لاهبات العبر
تعرفي في ما يلهب الشوق
وما جمرات القلق المستعر
ان هذا الالم الفذ
لنـــا
قطرات
من خوابي عبقر
خمـرة سحريـة
مـن كرمهـا
لصفار الناس لم تعتصر !
السهـولات
عرفنـا عقمهـا
فـي الشراييـن
وثلـج الاسطـر
وغدونا نتمنى بعدها
كـل غصـن
باخـل بالثمـر !
وصعوبـــات
تشهـي جنـة
خلف مجهول المدى
مستتـر
يتصبانا اليها أمل
باجتناء الواعد
المنتظـر !
أنـــا
لـو تدريـن ،
اشهـى خمرة ذقتها
كالغيب المنهمـر
دمعـة رقراقـة
سلسلتها مـرة
من هدبك المنكسر !
عـرف القلب بها
فيض الهـوى
وسناليل العيون
المطـر !
ملتقانـا
كـان أحلى هبـة
لكلينـا
من هبات القدر



المطارد

بقلم مصطفى ابو النصر

ــ هل استطيع ان اكون متطفلا ؟
ــ ماذا !؟

بدا عليه شيء من الاضطراب ، فتراجع خطوة ، ويبدو انه فكر ان يختفي من امامي ، فرسم على شفتيه ابتسامة بائسة . ولم اكن اعرف ، من هو ولا ماذا يريد . ولكنني احسست انه ربما يعاني من ازمة ، او ان به مسا من جنون . رفعت يدي وربت على كتفه :

ــ تستطيع .. تستطيع ان تكون كما تشاء .

غالبا ، ان تعليقي هذا قد بدد كل ما ينتظره مني ، فأرجعت ذلك الى انه ربما قوبل من غيري بما جعله يعتبر كلامي هذا من قبيل السخرية . في تلك اللحظة ، تلاقت عيوننا ، لم ينبس بحرف ، وانما رفع ذراعه ليزيح كفي عنه . كنت قد قرأت في عينيه بؤسا عميقا وحزنا لا نهائيا .

هل كنت استطيع عندئذ ان اكون شريرا ، فأطلق ضحكة عالية ، واتركه في مكانه يتفتت ملقيا بأشلائه للجميع ؟

لم اجد في نفسي القوة او المقدرة او بلادة الاحساس التي تدفعني الى ذلك . شيء ما ، غريب ، طاغ ، لا يمكن مقاومته ، بدأ يتحرك في اعماقي تجاه هذا الانسان . على ان حرصي جعلني اتريث ، مع انني لم اكن قادرا على التفكير ، فيما عسى ان تكون مشكلته الحقيقية . كانت بدلته رمادية كالحة ، شابها اصفرار عند الاكتاف والصدر ، ولمحت زرارا ناقصا . ظل يتأملني في استسلام وكأنه يقول لي : ظن بي ما تشاء ، اعتبرني اي شيء ، الا ان تضحك مني ، او ان تجعلني هزأة في الطريق . سقطت ذراعه بجانبه .

ــ هل لديك مانع ان تسير معي قليلا ؟

لم يصدق ما سمعت أذناه ، فاهتزت شفتاه بابتسامة مريرة ، ثم قال بصوت خافت متكسر مليء بالرجاء :

ــ ارجوك ، لا تسخر مني .

ــ انني لا أسخر منك .. هل تشعر بشيء ؟

ــ اذا كنت صادقا ، ارجوك ان تتحملني ، كل ما أطلبه ، هو ان أسألك سؤالا واحدا فقط .

ــ هل نظل نتكلم ونحن واقفان ، لم لا نسير قليلا ؟

تردد قائلا : اخشى ان ..

لا تخشى شيئا .

كنت قد أيقنت انني في صحبة نموذج معين ، ربما كان من الطريف ــ او لا ادري تماما ــ ان اكتشف ما يدور في نفسه ، ولعلني كنت في تلك اللحظة ، المتطفل الحقيقي . غير ان الوصول الى اعماقه ، قد يكون شيئا صعبا ، او مستحيلا . ومع ذلك فقد وجدتني اضع ذراعي في ذراعه ، متعمدا الفة غير طبيعية :

ــ في الواقع لا أنتظر احدا ، كما انني لست مرتبطا بأي ميعاد او عمل معين .

احسست بجسمه يهتز وهو يشكرني .

ــ تلك هي الحقيقة .

ــ قلما يعثر المرء على شخص مثلك ، انك رائع .

بالطبع ، لم تكن صحبتي له لمجرد سماع مديح لشخصي ، فوجدت ان الطريقة المثلى هي الدخول معه في الموضوع مباشرة ، فقد اكتشف بعد لحظات انني ــ فعلا ــ بددت وقتي . غير انني فوجئت بتلك السعادة التي كانت واضحة على وجهه ، فقدرت ان لهجتي العنيفة ربما تجهض تلك السعادة التي أخذت في النمو رويدا رويدا .

مضت فترة صمت ونحن نسير ، وكنت أراقبه بنظرات مسروقة ، حتى لا يفاجئني وانا الاحظه . كان ينقل بصره في المارة ، وخيل الي انه يقول لهم : « هاأنذا اسير مع شخص مثلكم تماما ، لست كما تظنون معتوها او مخبولا ، هذا انسان طلب مني ، بل انه سألني ان أسير معه » . ولكن فترة الصمت طالت . ليس أمامي غير وضع السؤال ، كما جال في خاطري اول مرة :

ــ سألتني .. هل يمكن ان تكون متطفلا .. لماذا ؟

التفت الي ، اهتزت شفتاه ، ابطأ في السير . ترى هل كان سيبكي ؟

ــ حسبتك نسيت ، ولكن أضايقك السير معي ؟

توقفت ، سحبت يدي من ذراعه ، ووقفت أتأمله ، وانا لا أكاد أفهم شيئا ، لا أدري ماذا اقول له . كان يمكن ــ وببساطة ــ ان ادور على كعبي ، واسير في طريقي دون ان التفت اليه ، ولكنني لم اقو على اتخاذ هذا الموقف . كانت نظراته توحي بما في نفسه ، وكنت على شبه يقين من ان ما في داخله ليس شيئا سهلا او بسيطا . كان يقف امامي تاركا كيانه كله بين يدي وكأنه يقول لي : « انني كما ترى .. يمكنك ان تتركني ويمكنك ان تسألني وعندئذ سأجيبك بكل ما تريد ، الا تحس أو تشعر بأنني خجل ، خجل تماما . »

ــ قل لي ، ماذا تريد بالضبط ؟

تعمدت ان تكون لهجتي حازمة ، ولكنها كانت عكس ما في نفسي تماما ، ومع ذلك فيبدو انه تأثر بعض الشيء ، ولم يستطع ان يكتشف حقيقة

مشاعري .

ـ انني آسف ، لقد ضايقتك بالفعل ، شكرا .

وتقهقر ثم هم بالانصراف ولكني أمسكته من كمه قائلا :

ـ لا تذهب ، قل ما هو السؤال ؟

كان التردد واضحا في ملامحه ، وكلما التقت عيوننا ، الفيته يحول بصره عني وكأن خطيئة كبرى تكمن في اعماقه . ضايقني صمته وبلادته، فضغطت على زنده مكررا :

ـ قل .. ما هو السؤال ؟

التفت يتأمل اصابعي وهي تضغط، ثم رفع الي عينيه في توسل :

ـ اتركني ..

ـما هو اسمك ؟

ـ اسمي !؟

ـ نعم .

ـلماذا ؟ هل ستذهب بي الى البوليس ؟

كانت نغمة صوته مشحونةبالخوف والتوسل والضعف . وللحظة تصورت انني مخدوع ، وربما اكون الان قائما بدور تمثيلي في مهزلة لا اعلم عنها شيئا . جعلني هذا التصور ازداد به تمسكا ، وجعلت اتلفت حولي ، علني أجد مخرجا يحدد كل شيء ، ولكنه قال لي :

ـ اسمع .. هل تريد مني شيئا، اتركني ، اتركني من فضلك .

ـ لا يمكن .

ـ هل تصدقني لو قلت لك الحقيقة ؟

ـ لا .. لا اريد ان اسمع شيئا ، امش .. امش معي .

كانت اقدامه قد تسمرت في الارض ، وشعرت بعضلاته مشدودة، وبدا كحصان حرن . ولكنني كنت مصرا ، كانت الفكرة قد تمكنت مني، ولم يعد مجال للتنازل عن أي شيء : اذا تركته فربما أكون بذلك قد اشتركت في جريمة بشعة لا اعلم عنها شيئا ، والموقف متساو سواء تمت او لم تتم بعد . ويبدو انه في النهاية قد يئس من الفرار ، فارتخت عضلاته فجأة وقال بصوت يشبه الفحيح :

ـ هل تتركني لو ذكرت لك اسمي؟

كانت الفكرة قد تضخمت في راسي ، « لا مجال للتنازل » .

ـ حتما سأعرفه ، ولكن ليس الان ، هيا أمامي .

ـ الى اين ؟

ـ قلت لك هيا .

ودفعته في ظهره ، فانقاد لي في ليونة جعلتني اندهش ، ولكنني لم اظهر شيئا .

كنت أحاول ونحن نسير ، ان اكتشف ما يمكن ان يدور في ذهنه ، فقد خيل الي ان استسلامه لي ، ربما كان جزءا من خطة دبرها ، فبدات أفكر فيما انتويته حقيقة تجاهه ، اما فكرة الذهاب به الى البوليس فلم تخطر لي على بال ، كما انني ـ لا ادري لماذا ـ بدأت أستبعد فكرة كونه قاتلا او انه يفكر في القتل .

كنا نسير ، انا ممسك بذراعه وقد تأخرت عنه خطوة او خطوتين ، أتفحصه : طويل ، منحنى الظهر قليلا ، لم يقص شعره منذ اكثر من ثلاثة أو اربعة اشهر . طال سيرنا ، دون ان أعرف على التحقيق ما الذي سننتهي اليه ، وفكرت ان أترك ذراعه ، وأسير عكس طريقه ،ولكنني بسرعة استبعدت هذا التصرف ، شيء ما حركني تجاهه ،انه بالتأكيد انسان غير طبيعي ، فهذا الاستسلام لا يمكن ان يصدر الا من شخص منزوع الارادة ، والا فما الذي يمكن ان يعلل به هذا الانقياد اللاواعي منه، ثم ما فائدة ان اذهب به الى البوليس ، أو الى أي مكان آخر . وشعرت بمدى القسوة التي عاملته بها ، وما قيمة ان أعرف اسمه او لا أعرفه . كان يجب ان اكون اكثر وعيا بحقيقته ، فغالبا ، لم تتكون وتكبر وتنمو أزمته الا بتصرفات غير واعية كالتي اتبعتها معه . وبدون مقدمات ، تركت ذراعه . بالتأكيد فوجىء بهذا التصرف ، فالتفت نحوي بسرعة ، وسألني بصوت مشدود ولكنه مشحون برنة غريبة هي مزيج من الضعف والاستجداء ، كان صوته مليئا بمعاني كثيرة ،ولكنه في نفس الوقت كان فارغا لا ينم عن حقيقة واحدة :

ـ ماذا ؟ الن تذهب بي الى البوليس ؟!

كنت استطيع الا اجيبه بشيء ، بل واتركه في وقفته وتساؤله ، دون ان انطق بكلمة ، او حتى ان ارسم على وجهي اي تعبير .والحق انني لا استطيع الان ان اصف بدقة كل ما دار في راسي ، فقد بدأت احس بأن كل حماسي تجاهه قد خمد ولم يعد أمره يعنيني . ظللت واقفا امامه برهة ، محاولا قدر طاقتي الا تلتقي عيوننا . ويبدو انه قد ادرك ـ الى حد ما ـ ما بدأ يجول في خاطري ، الا انه فيما يظهر لم يكن متأكدا من ذلك تماما . فما كان منه الا ان اقترب مني جدا ، حتى اصبحت أشعر بانفاسه وهي تتردد :

ـ هل غيرت رأيك ؟ .. أنا مستعد ان اذهب الى البوليس .

تقهقرت خطوة

ـ لم اكن انوي الذهاب بك الى البوليس .

ـ اين كنت ستأخذني اذن ؟

ـ كنا فقط نتمشى ، اضايقك هذا ؟

لمعت عيناه ببريق غريب .

ـ هل تحسبني معتوها ؟!

كان صوته عاليا مضغوطا وهو ينطق بالفاظ تلك الجملة . وأحسست أنه ربما انطلق في ثورته الى ما يمكن ان يتطور الى اسوأ فأردت أن اقلل من حدته وثورته ، فقلت له بصوت تعمدت ان يكون خافتا أملس بحيث لا يستطيع أن يحس ما وراءه او ما أعنيه :

ـ من قال انك معتوه ، انت بالتأكيد انسان عاقل .

روح وحطام قلب

بيـن هـم ، والتيـــاع ، وارق   لا ترى عينـي سوى دمع الشفق
فيـه وهج القلب اشعاع فـرق   وانطوى عني بعيدا في الافـق !

ذكريات في ضحى عهد الشبـاب   تبعث الاشجـان في طي السحاب
غائمات كونـت هـذا الضبـاب   بين قلبي، والاسى بالوجد شاب!

أيهـا المقطـوع عـــن رحلتــه   ذاك قلبـي ٠ هام فـي ضيعتـه
عانـق ((الحرمـان)) مـن لوعتـه   يبعـث الالحـان فـي حسرتـه

ما حطـام القلب الا ذكرياتـه   قـد تغنـت في مناها أغنياتـه
شدوهـا بـاك ، فتبكيه حياتـه   بعـد ان ضاعت عليه أمنياتـه !

لكـن الـروح ينـادي حبـه   في مشيـب لـم يروغ قلبـه
جوهـر ، بـاق ، منيـر لبـه   بيـن أضواء يناجي ربـه !

رب. هذا القلب فياض الحنيـن   لـم يجبه غيـر تـرداد الانيـن
قد مضى عنه ((حبيب)) لـن يبين   بعـد ان غيب في طي السنيـن

أي روح هاتـف يهفـو اليــه ؟   أي قلب عاطـف يحنـو عليـه ؟
أي عيـن قد دنت من مقلتيـه ؟   انه يحيـا ((بايمـان)) لديـه !

بور سعيد   أحمـد عبداللطيف بدر

ــ ارجوك لا تسخر مني ، لماذا تريد ان تعرف اسمي ؟

قال هذا ثم وضع يده في جيب الجاكتة الداخلي بصورة عنيفة واخرج البطاقة وقدمها لـي وهو يقــول :

ــ ها هي بطاقتي الشخصية ، خذها واقراها ، انا لا اخشى شيئا، هل تحسبني مجرما ؟

حينمـا وجدنـي لا أعيـر يـده المدودة ادنى انتباه ، دفع البطاقة الى صدري .

ــ خذها ، خذها واقراها ليطمئن قلبــك .

نحيت يده عن صدري .

ــ كلا .. كلا.. شكرا ، من قال انني احسبك مجرما .

ــ عيناك .. عيناك قالت لي ذلك. لماذا كنت عنيفا معي ؟

لم ادر بماذا أجيبـه ، فبقيـت صامتا ، وان حاولت ان ابدو رقيقا حسن الظن به ، وعبـرت شفتـي ابتسامة خيل الي انهـا لم تحظ قبوله ، فقال وهو يحاول جاهدا ان يكون هادئا :

ــ هل أسأت اليك ؟ ألم تطلب مني ان نسير سويا ؟

احسست ان هذه الجملة تقطـر بؤسا ، وانه حينما اقترب مني لـم يكن يقدر ان هذا كله سيحدث بيننا، فانتابني شيء من الندم . كان يمكن ان اكون اكثر صبرا وادراكا لحقيقته او موقفه . ترى ما هـي مشكلتـه الحقيقية ؟ هـل استطيـع ان الم جراحه ، وامحو من رأسه تلك الصورة التي انطبعت فيها عني ؟ هل يمكـن ان يأمن لي بعد ذلك ، ويفتح لـي صدره ، فيقص علي سبب وصفـه لنفسه بالتطفل ، احسست في تلك اللحظة انني كنت انا المتطفل ، ومـع ذلك كان رقيقا معي ، لم تصدر منـه كلمة ، انا الذي اسأت اليه .. انـا الذي ظننت به سوءا ووصمته بجريمة لم يرتكبها ، ليكن ما يكون . واجبته محاولا ان ابعث في نفسه الاطمئنان :

ــ وما زلت ، هل ترفض دعوتـي على فنجان قهوة ؟

ــ كلا .. شكرا .

ــ آسف لكل ما بدر مني .

ــ لا داعي للاسف ، هل تسمح لي بالانصراف ؟

هم بالسير ولكني لحقت به :

ــ ولكن لماذا انت غاضب؟

ــ لست غاضبا .

ــ ولكنني لم أعرف من انت ؟

ــ وما قيمة ذلك .. أنا من أنا ؟

ــ الى ايـن ؟

ــ هل تريد مني شيئا ؟

لم أجبه بشيء ، تركته يمضي وانا أتأمل ظهره المحني ، حتى ضاع بين النــاس .

القاهرة   مصطفى ابو النصر

من اعلام الفكر والادب في فلسطين

عوني عبدالهـــادي

بقلم البدوي الملثم

* * *

في النصف الاول من نيسان عام ١٨٨٩ شاءت السماء ان تهب الحاج قاسم عبد الهادي احد وجوه فلسطين ، صبيا أسماه «عوني» وكتب له ان يتلقى دروسه في الاستانة ، عاصمة الامبراطورية العثمانية ، ليرى عن كثب ما يضمره الترك للعرب من كره وحقد وبغضاء وليقف على ما يكنه « حزب الاتحاد والترقي » لهم من بغض وانتقام ، فتنبه وهو الذكي الفطن ، لهذه الظواهر الخبيثة وراح يستقصي بواعثها واسبابها ، ويعلل دوافعها ومسبباتها حتى وقف على السر الدفين وايقن ان «الترك» عدو غشوم همه اذلال العرب وتتريكهم لتزول أمجادهم ، وتندثر مفاخر اجدادهم من سؤدد وفتوح وفخار !

وفي سيرة هذا الوطني المؤمن تقف على مراحل جهاد صامت بريء أداه «عوني» للامة التي تحدر منها !

في نابلس المدينة التي دوخت الغزاة والفاتحين ، وسخت على العرب بالعشرات من المثقفين الواعين ولد عوني وبحكم وجود والده (مستنطقا) في بيروت تلقى دروسه الاولية في «كتاب» بالبسطة وتلقى دراسته الاعدادية في مدرسة عسكرية هناك وبعدها عاد الى نابلس وانتسب لمدرسة يديرها اساتذة أتراك وبعدها يمم الاستانة والتحق بـ «مدرسة مرجان» الاعدادية وامضى فيها سنتين دراسيتين ومن ثم التحق بـ « المدرسة الملكية» التابعة لجامعة استانبول وهناك تعلم العربية على زميليه في الدراسة : توفيق البساط (١) والامير عارف الشهابي . (٢)

ومن طريف ما يروى ان عوني كان لجهله قواعد العربية يلحن كلما قرأ مقالا او انشد شعرا أمام زملائه من العرب ومن توه تزود بكتاب في النحو وبآخر في الصرف وانكفأ على تعلم المرفوع والمنصوب والمجرور فلانت له أوابد اللغة وطاوعته صعابها !

وخلال اقامته في «الكلية الملكية» (١٩٠٨ ــ ١٩١٠) انتسب للمنتدى الادبي وفي عام ١٩٠٨ قامت في الاستانة مظاهرات ضد العرب وعلى الخصوص ضد عزت باشا العابد (٣) فكان عوني وزميله الدكتور أحمد قدري يردان على هذه الهجمات دفاعا عن بني جلدتهما ، وافضت موجدة الترك الى تنبه الشبان العرب المقيمين في الاستانة وتمييزهم الترك من العرب .

الى باريس : بعد ان انهى عوني دراسته في الاستانة قصد باريس وانتسب لمدرسة «سان لوي» الحكومية وبعد ان ألم باللغة الافرنسية الماما حسنا التحق بـ «كلية الحقوق» وامضى فيها ثلاث سنوات ، ومن زملائه العرب رفيق التميمي وجميل مردم والدكتور أحمد قدري ورستم حيدر ومحمد المحمصاني وعبدالغني العريسي .

ونتيجة للثورة الغاشمة التي قام بها الترك على العرب في الاستانة عام ١٩٠٨ احتجاجا على وجود رئيسين عربيين كبيرين في قصر « يلدز » هما : عزت باشا العابد وأبو الهدى الصيادي (٤) .

لم ينس الطلاب العرب الذين شهدوا تلك المظاهرات في الاستانة وقصدوا باريس طلبا للعلم ، الاثر السيء الذي تركته تلك الثورة في نفوسهم فأسسوا « حزب الفتاة» وقرروا ان يظل أمره طي الكتمان ، وشرع كل منهم في مراسلة من يثق بهم من اخوانه في الاستانة وسورية ومصر وغيرها من البلاد والفوا لجنة تحضيرية قوامها : عبدالغني العريسي ، ندره مطران ، شكري غانم ، عوني عبدالهادي ، جميل مردم ، شارل دباس ، محمد المحمصاني ، جميل معلوف .

المؤتمر العربي الاول : وكانت باكورة هذا الحزب الدعوة الى عقد «المؤتمر العربي الاول» في باريس وتحدد زمانه . وظل اولئك الشبان على اتصال وثيق بـ « حزب اللامركزية » في القاهرة وعلى راسه رفيق العظم (٥) من كبار القوميين العرب وفي طليعة العاملين على نجاح المؤتمر العربي الاول . وفي ١٨ حزيران ١٩١٣ افتتح المؤتمر جلسته الاولى في قاعة الجمعية الجغرافية بشارع سان جرمن برئاسة السيد عبدالحميد الزهراوي ودونك اسماء من حضروه من رجالات العرب :

عبدالحميد الزهراوي واسكندر عمون (عن حزب اللامركزية بمصر) سليم علي سلام واحمد مختار بيهم واحمد حسن طباره والدكتور أيوب ثابت (عن الجمعية الاصلاحية في بيروت) توفيق السويدي وسليمان عنبر (عن العراق) محمد حيدر وابراهيم حيدر (عن بعلبك) عبد الكريم قاسم الخليل (عن الجالية العربية في الاستانة) نجيب دياب ونعوم مكرزل والياس مقصود (عن الجالية العربية السورية في الولايات المتحدة) عباس بجاني (عن جالية المكسيك) شكري غانم وعبدالغني العريسي وندره مطران وعوني عبد الهادي وشارل دباس وخيرالله خيرالله وجميل مردم وجميل معلوف ومحمد المحمصاني (عن الجالية العربية في باريس).

وبعد ان انتهت اعمال هذا المؤتمر العربي الاول ظل عوني واخوانه اعضاء «حزب اللامركزية» يجاذبون اخوانا لهم مقيمين في الاقطار العربية حبل المراسلة ، وعندما أعلنت الحرب العالمية الثانية ظل (عوني) ورفيقه جميل

مردم في باريس وبعد فترة حزما حقائب السفر وعزما على مبارحتها لكنهما منعا من الخروج بوصفهما عثمانيين، فاضطر عوني للبقاء في مدينة النور وزاول التعليم في «مدرسة سان لوي» أولا «فمدرسة فولتير» ثانيا لقحط البلاد عن ذاك من الشبان المجندين في ساحات القتال .

في حقل الصحافة : ورغم ويلات الحرب الكونية لم ينس عوني امته المغلوبة على أمرها فانبرى يدافع عن العرب وقضاياهم في جريدة «الماتان» الفرنسية وبناء على طلب من شكري غانم وجورج سمنه استقال من عمله في «بنك كريدي ليون» وعمل معهما في جريدة «المستقبل(٦) مشترطا عليهما الا يعالج موضوعا يؤمن في قرارة نفسه بأنه يتنافى وحقوق المغرب العربي أو يسيء لاية مصلحة عربية ، فامتثلا لهذا الشرط وأناطا به ادارة سياسة الجريدة ، وكانت وزارة الخارجية الفرنسية تمول هذه الجريدة باشراف مسيو فلاندان عضو مجلس الشيوخ الفرنسي عهد ذاك بوصفه خبيرا بشؤون المغرب العربي اذ كان مندوبا ساميا هناك .

بعد فترة من عمل عوني في جريدة «المستقبل» طلب منه السيدان غانم وسمنه نشر مقالات فيها مساس بالمصلحة العربية فرفض نشرها وهنا خيراه بين نشر تلك المقالات او ترك العمل فآثر الشق الثاني وهجر الجريدة وفي جيبه بعض المال لكنه كاشف مسيو فلاندان بالامر واقامه حكما في التعويض الذي يستحقه فحكم له بثلاثة الاف فرنك وانضم عوني بعدها الى قلم تحرير « الماتان » الباريسية .

مع فيصل بن الحسين : وفي عام ١٩١٨ جاء باريس الامير فيصل بن الحسين ليمثل والده الشريف الحسين بن علي في «مؤتمر الصلح» المنعقد في باريس وذات صباح دلف الى منزل عوني صديقه القديم الدكتور أحمد قدري الطبيب الخاص بالامير فيصل ودعاه لمقابلة الامير العربي في فندق الكونتننتال فتوجه للسلام على الزائر الكبير وكانت حاشية الامير مؤلفة من : نوري السعيد ورستم حيدر والدكتور احمد قدري وتحسين قدري وغيرهم . وبعد حديث دار بين الامير وعوني عين هذا سكرتيرا خاصا ورئيسا لمكتب الوفد الحجازي ، وعندما عاد الامير فيصل الى دمشق للاجتماع بلجنة الاستفتاء الاميركية برئاسة يونغ كراين عين الملك حسين بن علي «عوني» عضوا في الوفد الحجازي لمؤتمر فرساي بدلا من نجله الامير فيصل فوقع عوني على اتفاقية مؤتمر السلم العالمي بالاشتراك مع زميله رستم حيدر وكان لهذه الاتفاقية وقع كبير في العالم .

مراسلات الحسين ـ مكماهون : ذات صباح قرأ عوني في جريدة «الطان» الباريسية مقالا بقلم « أندريه تارديو» رئيس تحريرها الح فيه الى المراسلات المتبادلة بين الحسين ـ مكماهون وكان فيصل يجهل امر هذه المراسلات فبادر عوني الى تكذيب مقال « الطان » بلهجة عنيفة . وفي اليوم التالي نشر تارديو التكذيب وتحته النص الحرفي لاحدى تلك المراسلات . وبعد ان اطلع الامير فيصل على ما نشرته الجريدة انتدب عوني لزيارة لندن لاخذ صور المراسلات المودعة لدى وزارة الخارجية البريطانية وبعد ايام عاد الى باريس متأبطا مجموعة تلك الرسائل ، وبعد ان اطلع عليها الامير فيصل قصد لندن مع عوني وسائر اعضاء الوفد الحجازي.وفي وزارة الخارجية البريطانية أقنع المسؤولون فيصلا بضرورة الاتصال بمسيو كليمنصو رئيس وزراء فرنسا ووزير البحرية عهد ذاك للاتفاق معه على ما فيه مصلحة العرب وفرنسا بحجة ان لفرنسا مصالح في الشرق العربي ، وما لم تؤمن هذه المصالح فقد تلجأ فرنسا للحرب وبريطانيا غير مستعدة لمحاربة فرنسا وسفك الدماء بعد ان سفكتها بالاشتراك معها في الحرب العالمية الاولى !

وهنا لم ير فيصل بدا من زيارة باريس ومعه عوني ورستم حيدر ونوري السعيد وقدور بن غبريط وبحث مع كليمنصو الذي استهل الحديث عن نفسه بقوله : «لقد حاربت الاستعمار خمسين سنة بقلمي ولساني ، ولا بد ان السيد عبدالهادي سمع وقرأ خلال اقامته في باريس ما كتبت وخطبت في هذا السبيل الشيء الكثير ! »

فأجابه الامير العربي فورا : « عدني يا فخامة الرئيس بأن تظل دوما رئيسا لوزراء فرنسا وهذه يدي أمدها لك بلا قيد ولا شرط ... ولكني أخشى أن يخلفك شخص ، أطال الزمن أم قصر ، يكون على عكس سياستك !» .

وبعد حديث مطول اتفق كليمنصو وفيصل على ان ينتدب الرئيس الفرنسي السيد روبرت دي كيه وينتدب فيصل ، عوني عبد الهادي لعمل مشروع اتفاقية ، وكان هذا المشروع مدار بحث بين كليمنصو ـ فيصل .

وفي النهاية اتفق الطرفان على أن يعرض فيصل صيغة المشروع على الشعب السوري ويعرض كليمنصو الصيغة على البرلمان الافرنسي ، وعاد فيصل ومعه عوني الى دمشق وعرض المشروع على السوريين الذين قابلوه بالرفض وجرى ما جرى في سورية كما هو معروف لدى القاصي والداني !

حزب الاستقلال : وبعد أن غادر اعضاء « حزب الفتاة» دمشق وغيرها من عواصم العالم العربي انقلب «حزب الفتاة» السري الى حزب علني باسم «حزب الاستقلال» وفي طليعة من انضم اليه الامير فيصل بن الحسين وشكري القوتلي ورياض الصلح وعوني عبد الهادي وأسعد داغر وخيرالدين الزركلي ومحمد الشريقي وغيرهم من العاملين في الحقل العربي .

فرنسا تغزو دمشق : واثر رفض السوريين صيغة المشروع الذي حمله فيصل من باريس تحرج الموقف في دمشق فبارح الملك العربي الهاشمي العاصمة السورية وعوني معه الى محطة الكسوة وبقيا فيها الى ان دخل

الجيش الفرنسي دمشق . وبعد استعراض الموقف اتفق عوني واحسان الجابري وبعض الاخوان مع الملك فيصل على ان المصلحة العامة تقضي بان يعود المليك الى دمشق ليرى اذا كان في الوسع ايجاد تسوية مع فرنسا يكون لسورية مصلحة فيها ، فانتدب فيصل عبد الهادي والجابري للعودة الى دمشق والجيش الفرنسي يقوم بعرض في شوارعها فدخلاها خلسة وقصدا دار الحكومة والخطر محدق بهما واجتمعا على انفراد بالكولونيل تولا وطلبا وساطته لعودة الملك فيصل الى دمشق بغيةالوصول الى حل يكون فيه مصلحة لسورية ، فطلب منهما الانتظار ريثما يتصل هاتفيا بالجنرال غورو فسمح هذا لفيصل بالعودة الى دمشق . فعاد الرسولان الى محطة الكسوة واطلعا فيصل على نتيجة المسعى وعادا معه الى قصر الصالحية لكن التعليمات التي تلقاها غورو من باريس قضت بأن يبارح فيصل سورية فطلب الفرنسيون منه الاذعان لهذا القرار صباحا فبارح دمشق وعوني معه الى محطة سكة حديد دمشق وكان بانتظاره الكولونيل تولا وكبار العسكريين الفرنسيين فسلمهم عوني احتجاجا شديد اللهجة وجهه باسم الملك فيصل الى الحكومة الفرنسية نظرا لما قامت به من أعمال استفزازية .

وداعا يا دمشق : طلبت فرنسا ان يبارح فيصل دمشق الى الحجاز حيث يقيم والده لكنه قصد أذرعات وعوني معه .وبعد ان أقاما فيها مدة بارحاها الى حيفا بالقطار . وفي اول محطة فلسطينية كان في انتظار المليك السر هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني والجنرال ستورس فرحبا به وقصد فيصل حيفا ومنها اتصل بوالده تلغرافيا واصفا له ما جرى .

وبلغ فيصل القاهرة وبعد أيام قصد ايطاليا مصحوبا بنوري السعيد ورستم حيدر وساطع الحصري وطلب من عوني وبعض العاملين معه البقاء في وادي النيل .

وفي فندق الكونتننتال بالقاهرة لقي عوني صدفة الدكتور حاييم وايزمن الزعيم الصهيوني ، وكان يعرفه في لندن وباريس ، ودار حديث بينهما عن فلسطين ومما قال « وايزمن » لـ «عوني» : « لم يخش العرب جانب اليهود يا عوني بك وهم الاكثرية بالنسبة لليهود ؟ فمهما بلغ عددنا فنحن قوم محاطون بالعرب من جهات ثلاث وبالبحر من الجهة الرابعة !» فأجابه عوني : « ان الوطن القومي حركة استعمارية يراد به أن يكون موضع قدم لبريطانيا في فلسطين للسيطرة على الشرق الاوسط ! » .

الامير عبدالله في معان : وبينما كان عوني وبعض الساسة العرب في القاهرة يرقبون ما ستسفر عنه مفاوضات فيصل في لندن حملت الانباء قدوم الامير عبدالله بن الحسين الى معان لاسترداد سورية من غاصبيها الفرنسيين ، وبعد أن تداول الامر مع شكري القوتلي أحد اعضاء حزب الاستقلال اتفقا على ان يتوجه عوني الى معان لمقابلة الامير عبدالله ويظل القوتلي في القاهرة على ان يزود عوني بأنباء مفاوضات لندن ويزوده عوني بانباء الحملة التي قادها الامير عبدالله .

غادر عوني القاهرة مارا بالقدس وقابل السر هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني ، وكان يعرفه في باريس ولندن ، وحدثه بعزمه على زيارة معان لمقابلة الامير عبدالله فطلب المندوب السامي ابلاغ الامير عبدالله انذارا بضرورة عودته من حيث اتى فأجابه عوني : « لا استطيع ابلاغه ذلك وسأذهب لزيارته والاضطلاع بأية مهمة ينيطها بي سموه وفيها فائدة للمصلحة العربية ، واذا شئتم انذار الامير فوسطوا غيري في هذه المهمة !»

وقصد عوني عمان مصحوبا بصديقه امين التميمي ومنها ذهبا الى معان وهناك قابل عوني الامير عبدالله ولم يجد حوله قوة كافية لاسترداد سورية المغصوبة ، واخيرا حبذ عوني مع نفر من اخوانه سفر الامير عبدالله الى عمان وكانت مع القطاع المسمى اليوم «الاردن» تابعة لسورية في العهدين العثماني والفيصلي .

ورب سائل يقول : وقف الفرنسيون الغزاة عند حدود اذرعات واحجموا عن احتلال شرقي الاردن كما احتلوا دمشق وحمص وحماة وحلب واللاذقية فما سبب ذلك ؟ .

والجواب عن هذا السؤال ان شرقي الاردن واقع تحت النفوذ البريطاني حسبما جاء في « اتفاقية سايكس ـ بيكو » وظلت عند قدوم الامير عبدالله بن الحسين من الحجاز الى معان تحت نفوذ السلطة المحلية .

فاتح عوني واخوانه العاملون معه في الحقل الوطني الامير عبدالله بالامر وحبذوا له السفر الى عمان لكن الامير ابدى ترددا في ذلك خوفا من قوة عسكرية بريطانية تلقاه في طريقه الى عمان فلا يقوى على صدها لكن عوني ورفاقه اقنعوه باستحالة قيام قوة عسكرية بريطانية ضده فقبل نصحهم واستقل القطار مصحوبا بعوني وبعض رفاق الجهاد وبلغوا محطة عمان ونزلوا في غرفتين لسكة حديد الحجاز. وفي صبيحة اليوم التالي أعد عوني مذكرة بالفرنسية تتضمن أسباب قدوم الامير لعمان وفي طليعة تلك الاسباب استرداد سورية المغتصبة وليس في نية سموه الاعتداء على اية مصلحة بريطانية ، وان همه الاوحد تحرير سورية مهما كان الثمن !

وقع الامير عبدالله على هذه المذكرة فحملها عوني الى السر هربرت صموئيل وفي دار المندوب السامي بالقدس عقد اجتماع حضره المندوب السامي والسر وندهام ديدس السكرتير العام لحكومة فلسطين وعوني دام ثلاث ساعات وكان محور الحديث عودة الامير الى الحجاز. لكن عوني أصر على بقاء الامير في الاردن .

وبعد أخذ ورد في الموضوع قال السر هربرت صموئيل : « ان حكومة فلسطين لا تستطيع الموافقة على

حكم الامير عبدالله وتأهبه لمحاربة فلسطين ، وان السر ونستون تشرشل وزير المستعمرات البريطانية مبحر الى الشرق الاوسط وقد طلب مني أن يظل الامير بعيدا عن أية حركة ولا يقوم بأي عمل في الداخل ضد فرنسا ريثما يصل الوزير الى البلاد ويبدي راي الحكومة البريطانية في الموضوع ! » .

فرد عوني قائلا : « من الممكن اقناع الامير عبدالله بان لا يقوم بأي حركة ضد فرنسا في الوقت الحاضر الى أن يصل السير ونستون الى البلاد ، غير اني لا اضمن ان لا يقوم بأي عمل اداري ضمانا للسلام في منطقة عربية تبلو الفوضى في الوقت الحاضر » .

فأجاب المندوب السامي : «أرجو ألا يقوم الامير عبدالله بأي عمل الا بما تقضي به الضرورات !» .

عاد عوني الى عمان وأبلغ الامير عبدالله بما تم الاتفاق عليه .

وصول تشرشل : وبعد ان حضر تشرشل الى القاهرة مصحوبا بلورنس أعد عوني مذكرة بالفرنسية موجهة الى تشرشل باسم الامير عبدالله وقد استعرض فيها غدر فرنسا بالعرب وعدم سكوت العرب على هذا الغدر ، وانه قدم الاردن لاسترداد سورية ، ولن يتصدى لاي عمل عدواني ضد بريطانيا .

حمل عوني المذكرة الى القاهرة وسلمها للسر تشرشل بحضور السر هربرت صموئيل ، فأجابه وزير المستعمرات البريطانية : « سأحضر الى القدس قريبا وسأحظى بلقاء سموه » .

وعاد عوني الى عمان واطلع الامير عبدالله على ما حصل ، وحالما حضر تشرشل الى القدس جاء لورنس الى عمان وعاد مع سموه وعوني الى القدس وحلوا ضيوفا على المندوب السامي وطلب الامير من السر صموئيل خطيا ان يحضر عوني الجلسات التي ستعقد مع وزير المستعمرات .

وفي اليوم التالي عقد أول اجتماع في قصر المندوب حضره السر تشرشل والسر هربرت صموئيل ووندهام ديدس ولورنس وكان عوني يترجم باللغة الفرنسية .

قيام امارة شرقي الاردن : واسفر ذلك الاجتماع عن قبول بريطانيا قيام امارة في الجزء الواقع شرقي نهر الاردن يرئسها الامير عبدالله .

ولما عاد سموه وعوني الى عمان تقرر تاليف حكومة يكون رشيد طليع رئيسا لها وعوني رئيسا للديوان الاميري ، فأخذ كل منهما يعمل من طرفه في ادارة تلك الحكومة الفتية .

وعندما بلغ الملك فيصل القاهرة عائدا من أوروبا في طريقه الى الحجاز لزيارة والده طلب الامير عبدالله ان يزور عوني القاهرة ويقابل شقيقه وزوده برسالة حياه فيها وهنأه بسلامة الاياب مع خطاب الى والده عاهل الحجاز ، فخف عوني الى القاهرة واطلع الملك فيصلا على الحالة الراهنة وعاد الى عمان مزودا برسالة من فيصل لشقيقه عبدالله .

عوني يستقيل : وفي رحلة قام بها عوني الىالقاهرة طلب من صديقه الامير عادل ارسلان الحضور معه الى عمان وهناك قدمه للامير عبدالله وطلب اعفاءه من رئاسة الديوان الاميري بداعي رغبته في زيارة ذويه بفلسطين والاقامة فيها فقبل سموه طلب عوني وعين الامير عادلا رئيسا للديوان .

في الحقل الوطني الفلسطيني : عاد عوني الى فلسطين وزاول المحاماة في القدس واندفع يعمل بتفان واخلاص في الحقل الوطني وانتخب عضوا في « اللجنة التنفيذية العربية» وكان يرئسها وقتذاك سماحة الحاج محمد أمين الحسيني ، واتفق مع بعض اخوانه ومنهم محمد عزت دروزه وأكرم زعيتر على ان يعيدوا تأليف

---

(١) ولد في صيدا وتعلم في بيروت فالاستانة وكان من اعضاء « المنتدى الادبي» ومن اعضاء «جمعية العربية الفتاة» السرية . وفي الحرب العالمية الاولى قبض عليه الاتراك وعذبوه فيديوان عاليه واعدموه شنقا ولم يبلغ الثلاثين من عمره . (٢) ولد في حاصبيا وتعلم في دمشق والاستانة وشارك في انشاء «المنتدى الادبي» وحمل شهادتي الحقوق والملكية ، وعاد الى سورية فمارس بعض الاعمال الكتابية والادارية ثم استقال وزاول المحاماة ودرس التاريخ في احدى المدارس الاهلية متطوعا لبث المبادىء القومية ونشر مقالات في جريدة « المفيد » البيروتية بتوقيع «عبدالله بن قيس» ثم تولى تحريرها واصبح شريكا فيها وانتقل الى بيروت . وفي الحرب الكبرى احس بشر الحكومة العثمانية ففر الى البادية فقبض عليه وحكم عليه بالاعدام شنقا في بيروت . (٣) ـ (١٨٥٥ ـ ١٩٢٤) ولد في دمشق وتعلم فيها وتلقى بعض دراسته في بيروت وأجاد الفرنسية والتركية وعين مفتشا للعدلية في سورية وكان معدودا في صدر شبابه من انصار الاصلاح وأصدر جريدة أسماها «دمشق» باللغتين العربية والتركية وخدم السلطان عبدالحميد الثاني فتقدم الى أن اصبح (سكرتيره الثاني) ومستشاره الاقرب وكان عبدالحميد شديد الحذر من الدول الاوروبية ، ميالا لمسالمتها فأعانه العابد على انتهاج سياسة تحول دون اتفاق الدول الاوروبية على بلاده ، واتصل العابد بالسلطان عبدالحميد عن طريق أبي الهدى الصيادي ثم وقع الخصام بينهما . (٤) (١٨٤٩ ـ ١٩٠٩) أشهر علماء الدين في عصره ، ولد في خان شيخون (من أعمال حلب) وتعلم بحلب وولي نقابة الاشراف فيها ثم سكن الاستانة واتصل بالسلطان عبدالحميد الثاني فقلده مشيخة المشايخ وحظي عنده فكان من كبار ثقاته واستمر في خدمته زهاء ثلاثين سنة . ولما خلع عبدالحميد نفي ابو الهدى الى جزيرة الامراء في «رينكيبو» فمات فيها وكان من أذكى الناس وله الما بالعلوم الاسلامية ومعرفة بالادب والظرف والتصوف . ولشعراء عصره أماديح كثيرة فيه وهجاء بعضهم . (٥) ـ (١٨٦٧ ـ ١٩٢٥) ولد في دمشق وأقبل على كتب التاريخ والادب وزار مصر في صباه ثم استقر بها واشترك في كثير من الاعمال والجمعيات الاصلاحية والسياسية والعلمية ونشر بحوثا قيمة في كبريات الصحف والمجلات وصنف «أشهر مشاهير الاسلام في الحرب والسياسة» وتوفي بالقاهرة.
(٦) ـ صدر العدد الاول منها في ١ آذار ١٩١٦ .

«حزب الاستقلال» رغبة منهم في الابتعاد عن السياسة الداخلية والعائلية واصدروا بيانا أعلنوا فيه انتهاجهم سياسة محايدة بين القطبين الخصمين وعدم انتسابهم لاي حزب اخر وانتخب عوني عميدا لـ «حزب الاستقلال» وكان هدف هذا الحزب مقاومة السياسة البريطانية اذ هي رأس الداء وأصل البلاء في كل ما اصاب فلسطين ، أما السياسة الصهيونية فليست الا فرعا من اصل ، وكان ابرز أعضاء هذا الحزب : عوني عبدالهادي ومحمد عزت دروزه واكرم زعيتر وعجاج نويهض وصبحي الخضرا ومعين الماضي .

امام لجنة شو : وبعد قيام ثورة عام ١٩٢٩ في فلسطين وصلت البلاد لجنة برلمانية بريطانية تمثل حزب المحافظين وحزب الاحرار وحزب العمال برئاسة القاضي البريطاني «شو» للبحث عن أسباب الاضطرابات التي وقعت ، وامام هذه اللجنة البرلمانية زعم اليهود ان العرب قاموا باضطرابات ادت الى قتلهم والاعتداء على احيائهم ، وان الحكومة البريطانية لم تقم بواجبها في ردع العرب عن الاعتداء عليهم ، وكان يمثل اليهود المحامي المشهور ماريمان مساعد النائب العام البريطاني سابقا في فلسطين ، ويمثل العرب عوني عبدالهادي ويساعده في الدفاع المحاميان ستوكر وسيبي وهما من كبار المحامين الذين عملوا في المحاكم المختلطة بالقاهرة .

مع الوفد العربي : وفي عام ١٩٣٠ انتخب عوني عضوا في الوفد العربي الفلسطيني لحضور المؤتمر الذي عقد في لندن ، ابان وزارة السر رمزي مكدونالد ، واللورد باسفيلد وزير المستعمرات . وفي هذا المؤتمر صدر في لندن «كتاب ابيض» هدفه تحديد السياسة الصهيونية ، لكن الصهيونية العالمية اجهزت على هذا الكتاب وابطلت مفعوله .

في المؤتمر الاسلامي : وفي المؤتمر الاسلامي الكبير الذي عقد في القدس عام ١٩٣١ كان عوني عضوا بارزا فيه وخلال عقده دعا نفرا من كبار الزعماء العرب الذين حضروه لاجتماع في بيته بالقدس ووضعوا ميثاقا وطنيا اقسموا على التقيد به والحفاظ عليه .

دفاعا عن البراق الشريف : وفي عام ١٩٣١ اعتدى اليهود على البراق الشريف فنشبت اضطرابات دامية في فلسطين بين العرب واليهود فالفت لجنة دولية لاستقصاء أسباب هذه الاضطرابات واتخاذ قرارات تتعلق بـ «المبكي» فمثل عوني العرب في تلك اللجنة وكان يساعده في الدفاع عن حقوق العرب والمسلمين مزاحم الباجهجي (العراق) ومحمد علي علوبة باشا (مصر) .

امام اللجنة الملكية : وعلى أثر قيام ثورة عام ١٩٣٦ وامتداد الاضراب العربي مدة ستة شهور أرسلت الحكومة البريطانية لجنة ملكية للبحث في اسباب الثورة فمثل عوني العرب في الدفاع عن الوجهة العربية .

في مؤتمر سان جيمس : وفي عام ١٩٣٩ دعت الحكومة البريطانية شخصيات عربية الى مؤتمر عقد في قصر سان جيمس بلندن للبحث في القضية الفلسطينية في عهد وزارة تشمبر لين والسر ملكولم مكدونالد وزير المستعمرات فكان عوني أحد أعضاء الوفد العربي الفلسطيني .

وفي هذا المؤتمر صدر «كتاب ابيض» هدفه تجميد السياسة الصهيونية لكن اليهود بنفوذهم ابطلوا مفعوله .

امام اللجنة البريطانية ـ الاميركية : وفي عام ١٩٤٦ وصلت الى فلسطين اللجنة البريطانية ـ الاميركية بحثا عن اسباب التوتر الذي يسود فلسطين فكان عوني احد ممثلي العرب فيها وقد ألقى أمامها بيانا مسهبا دلل فيه على حق عرب فلسطين في استقلال بلادهم .

وعلى اثر النكبة الفلسطينية اتخذ عوني دمشق دارا لاقامته نظرا لصلات المودة التي تربطه بالرئيس شكري القوتلي واقام فيها ما يقارب الاربع سنوات ، وبعد مقتل الملك عبدالله بن الحسين (٢٠ تموز ١٩٥١) استدعاه المرحوم توفيق أبو الهدى رئيس وزراء الاردن عهدذاك وطلب اليه تمثيل الاردن في القاهرة . ولقبول هذا المنصب اشترط عوني الا تتعارض السياسة الاردنية مع السياسة الوحدوية التي يدين بها فاجابه رئيس الوزراء الى طلبه فشخص عوني الى القاهرة ومثل الاردن سفيرا (١٩٥١ ـ ١٩٥٥) .

وبالاضافة الى منصب السفارة الذي شغله عوني انتخبه مجلس الجامعة العربية رئيسا للجنة القانونية الدائمة ، وظل يشغل رئاسة هذه اللجنة حتى يومنا هذا .

وعلى أثر تعيينه عينا في مجلس الاعيان الاردني عام ١٩٥٥ قصد عمان وظل فيها الى ان عين وزيرا للدولة في وزارة السيد سعيد المفتي فوزيرا للخارجية والعدلية في وزارة المغفور له ابراهيم هاشم .

وبعد ان تألفت الحكومة الاتحادية من الاردن والعراق عام ١٩٥٨ عين عوني عضوا في المجلس الاتحادي ، لكن هذا المجلس لم يعمر طويلا بسبب الاحداث التي سادت العراق .

ان في جعبة عوني عبد الهادي وثائق وأوراقا هامة تتعلق بالقضية العربية خلال خمسين سنة ، لو قدر لها ان تجمع وتنسق وتنظم لكانت موسوعة كبرى للقضية العربية الكبرى .

من آثاره القلمية : في عام ١٩١٥ ترجم عوني ابان اقامته في باريس كتاب «مقدرات تركيا التاريخية» من التركية الى الافرنسية وتولت نشره دار Payo للنشر في باريس ولقي هذا الكتاب رواجا في عاصمة السين .

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

يا فتية العاصي

اقام النادي الحمصي في بوانس ايرس بالارجنتين حفلة عشاء على شرف « ندوة الادب العربي » هناك فالقى الشاعر هذه القصيدة باسم اخوانه اعضاء الندوة .

•

ردوا الي فصاحتي وبياني ... يا خانقين بجودكم الحاني
ما خانني قلبي ، ولكن خانني ... في وصف آلاء الربيع لساني
انا من سخاء نفوسكم في جنة ... ويداي بين الراح والريحان
هل طاب الا فيكم شدوي وهل ... كفكفت الا عندكم اشجاني ؟
جار الزمان علي ، ثم امتنه ... لما نشرت بظلكم سلطاني
أأقول ازهار الرياض حسانكم ... اخطأت في التشبيه والتبيان
الزهر يذهب في الخريف جماله ... وزهور حمص يعشن في ريعان
ان يختلفن فكلهن « بثينة » ... رغم اختلاف العطر والالوان
يخمدن باليمنى رعونة ثائر ... ويشرن باليسرى حمية واني
يا من يفاخرني بعزة قومه ... منع الرسول عبادة الاوثان
الجاهلية ادبرت ، وتقلصت ... اسطورة الاسياد والعبدان
لكن اذا اعتز البغاث فان لي ... نسبا يمت الى بني غسان
هذي الوجوه الضاحكات وجوههم ... ويموج في بردي شذا حسان
ما دمت اقتحم المجاهل باسمكم ... منذا يجاريني من الاقران !

* * *

يا فتية «العاصي» رفعتم للعلى ... صرحين من ادب ومن احسان
يبني سواكم للزوال وانتم ... تبنون للاحقاب والازمان
ويغيث غيركم الغريب وعندكم ... لا حد يفصل قاصيا عن داني
ليس الذي يعطيك مدفوعا كمن ... يعطيك عفو الطبع والوجدان
واذا النفوس على الجميل تزاحمت ... ميزت بين الزور والايمان
هذا البناء المشمخر على الذرى ... ان لم تخلده الفضيلة ، فاني
كفي التي بذلت تعيش غنية ... ويدي التي جمعت لفي حرمان
ايان سرتم فالقلوب منازل ... لكم ، وحبات القلوب دواني
لا يحصد الانسان من بستانه ... الا الذي يلقيه في البستان
لو لم تكونوا في المكارم قدوة ... لم تنزلوا اهلا على اخوان
باسمي وباسم عشيرتي لا تعتبوا ... ان شاه تصداحي وساء بياني
ضيعت في حرب الرطانة عدتي ... فتهجاوا في دمعتي شكراني

بوانس ايرس ــ الارجنتين

زكي قنصل



محمد رجـب البيومي

البـكـري الشـاعـر

بقلم محمد رجـب البيومي

* * *

وعدنا أن نتحدث عن البكري شاعرا وها هو ذا الحديث :

حين نتحدث عن شاعرية السيد محمد توفيق البكري ، يحسن أن ننبه الى أن عمره الشعري والنثري معا لم يتجاوز سبعة عشر ربيعا ! اذ أنه بدأ انتاجه الحقيقي عام ١٨٩٢ وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وكل ما كتبه قبل ذلك كان ترويضا ومعالجة يحاول بهما الاديب الناشىء أن يشق طريقه ، وقد أسقط من حسابه ما نظمه في زمن اليفاعة فلم يلم بشيء منه فيما اهتم بجمعه من النثر والشعر بصهاريج اللؤلؤ ، واذ كان قد ترك النظم والنثر معا حين اشتد عليه الاختلاط عام ١٩٠٩ فان سبعة عشر عاما ـ على الاقل ـ كانت الامد الضيق الذي أتاحه القدر للاديب الكبير ! اذ هي وحدها مجلى نبوغه ، وموضع تبريزه ، فعلى الذين يقارنون البكري برصفائه المعاصرين ـ شعرا ونثرا ـ من أمثال شوقي وحافظ والمويلحي ومحرم وناصف وعبد المطلب أن يعلموا أن اكثر من عشرين عاما قد سقطت من حساب الرجل ! وانه سكت قبل ان ينزح ركية فكره كما قال الصولي في ابي تمام حين فاجاه الموت على غير انتظار ، وتلك حقيقة نسطرها للذين يعيبون عليه اقلاله من الشعر ، ثم يقارنونه بعبد المطلب ، وقد ألمع اليها الاستاذ احمد محرم حين كتب مقاله النقدي عن البكري باول عدد ظهر من مجلة أبولو (سبتمبرعام ١٩٣٢) فقال في حديث شجي

« انك لتظلم البكري اذا ظننت انه لم يمت غير أمس وانه قد ادى رسالته واستكمل ادبه ، ان الفقيد العزيز لطويل العهد بالموت ، وان هذا الاثر الذي نراه اليوم من ادبه البارع ، لهو مقال مبتسر ، وصورة غير كاملة ، لقد كان والقلم في يده ، يعد في الصف الاول من رجال الادب ، وقد تطاول الزمن ، وتباعد المدى بينه وبين هؤلاء ، فمنهم من سبقه ، ومنهم من وقف معه ، ونام بجانبه ، غير قائم العذر ، ولا ناهض الحجة ، وما من مرية قط في أنه لولا ذلك الحدث الرائع الذي دفن قلمه وهو حي ، واعتقل لسانه قبل أن يعتقله الموت ، لاستوفى حقه من بدائع الفن ومحاسن الصناعة ولاكتسب أدبه القوى من المنعة والحصانة ما يدفع بكل متهجم الى الوراء » .

وأول من بسط مجال المقارنة بين البكري وعبدالمطلب هو الاستاذ العقاد في كتابه « شعراء مصر وبيئتهم في الجيل الماضي » فقد ذهب رحمه الله الى ان عبدالمطلب كان وحيدا في مدرسته الادبية التي استقامت لها صحة الاسلوب من طريق الدعوة الدينية وكانت اوضح دليل على فائدة الدعوة الاسلامية في ازاحة البهارج والطلاوات ، اما البكري فقد استقامت له صحة الاسلوب عن طريق الدعوة الدينية ايضا، ولكنه « لم يكن مستغرقا في الطريق الدينية ولا كان هذا المذهب مشتملا عليه بحيث لا منصرف له عنه لانه تعلم طرفا من علوم العصر وألم ببعض اللغات الاوروبية فضلا عن التركية واقتبس شيئا من أدب الفرنسيين والانجليز ، وعاش في أوروبا وجال بين بلدانها ، وعاشر العلية من أبنائها فجنح الى القديم واتصل بالحديث العصري عن كثب، واختلف ما بينه وبين عبدالمطلب في مشارفة القديم حتى في التركيب والاسلوب فاذا كانت الجزالة والفحولة هي بغية عبدالمطلب عند الشعراء الاسبقين ، فالفخامة والفخارة هي بغية البكري عند أولئك الشعراء ، واذا كان عبدالمطلب يميل الى قوة الاسر ، فالبكري يميل الى أبهة المنظر وروعة الموقع ، هذا يبني قصرا ، وذلك يبني حصنا ، وكلاهما ضخم باذخ ولكن كما يكون الفرق بين ضخامة البداوة وضخامة الحضارة ، أو بين بذخ الفطرة وبذخ الترف وحلية السذاجة وحلية الاتقان » (شعراء مصر للعقاد ص ٥٥) .

ثم قال الاستاذ العقاد في مقال تال من الكتاب « ولعله ـ البكري ـ لو أطال النظم كما أطال النثر لكثرت موضوعاته وتساوت في هذه المزية قصائده ومقاماته وربما كان البكري ممن يرون كما كان يرى الاقدمون أن الشعر أسرى مروءة الدنى ، وادنى مروءة السرى وان الانقطاع له والاكثار منه لا يجملان بصاحب المقام الديني والحسب العريق» (ص ٧٠).

وكلام الاستاذ العقاد دقيق بالغ الدقة لدى من يظن أن معرفة السيد للغات الاجنبية وزياراته المختلفة لاوروبا وقراءاته آداب الفرنسيين والانجليز قد نضحت على شعره بحيث باعدت قريبا أو كثيرا بينه وبين من لم يقرأ ما قرأ من اللغات ولم يرحل الى ما رحل اليه من البلدان من أمثال عبدالمطلب ومحرم والكاظمي ، وقد كان هذا متوقعا منتظرا اذ من انطباعات الانسان لا بد أن تتلون بمرئياته ومداركه، ولكن السيد توفيق البكري قد تأصل لديه مثال خاص للشعر العربي لا بد أن يحتذيه وأن ينهج نهجه والا حاد عن سنن الشعر الاصيل كما يرتئيه ! فامراء الشعر العباسي ممن اختار لهم في فحول البلاغة هم فرسان الشعر في رأيه ، ولا بد له ان أراد السبق الظافر ان ينهج نهجهم وأن يقفو آثارهم ! بحيث تجاهل الجديد فيما قرأ وشاهد ، وكان الشرق شرق والغرب غرب في اعتقاده فلا يلتقيان ، ومن هنا صار وجه الخلاف بينه وبين عبدالمطلب معدوما او كالمعدوم ـ لا كما حسب الاستاذ العقاد ـ وقد كان الاستاذ خليل مطران أقرب الى الصواب من الاستاذ العقاد حين قال عن السيد البكري .

« ولكن يغلب على الظن ان ثقاته ـ البكري ـ الذين يرجع الى رأيهم من مثل العلامة الشنقيطي قديما وسواه حديثا انما هم جميعا من المشايخ الذين يمر بهم العصر بما فيه من معجزات الماء والنار والكهرباء والنور وبما يفتن العقول وياخذ بالالباب من كل جميل النظام شائق الهندام بديع التجزؤ والالتئام كما تمر بالبدوي في الصحراء خيالات الجن وطمطمانيتهم في أضغاث الاحلام » .

واذا افترضنا أن رحلات السيد وقراءاته كانت ذات فرق واضح بينه وبين عبدالمطلب ، كما قال الاستاذ العقاد ، فاننا نرى أن هذا الفرق لا يعدو أن يكون فرقا بين انسانين نشآ في مدرسة واحدة واعتقدا مبدأ واحدا ، لا فرق ما بين المختلفين من ذوي المشارب المتعددة والمذاهب المتفرقة ، فكلا الشاعرين ينحو منحى الديباجة والاسر ويتخذ

أمراء الشعر العباسي قادته وملهميه ! أما ما ذكره الاستاذ العقاد عن الجزالة والفخارة ، والبداوة والحضارة ، والقصر والحصن ، فمما يعارضه أن ديوان عبدالمطلب مليء بما يصلح أن يكون مثالا للجزالة وللفخارة وللبداوة وللحضارة وللقصر وللحصن ، فمحاولة ايجاد فروق فنية بين تلميذين في مدرسة واحدة لا ينبغي أن تتعدى الفروق الطبيعية بين فردين ذوي احساسين متقاربين ، يعتقدان مذهبا واحدا في القول ويريان نمطا متفقا في التجبير والتجويد ! بحيث يلتقيان في أكثر الوجوه .

أما قلة النظم الشعري لدى البكري – اذا قيس بمثل عبدالمطلب – فلا ترجع الى أنه كان يرى كما يرى الاقدمون أن الشعر أسرى مروءة الدني وأدنى مروءة السرى كما قال العقاد ، اذ ان البكري كان في رأي مطران « مباهيا بشاعريته عن حق » وقد تقدمه الشريف الرضي وهو في مثل منصبه الديني وحسبه العريق ، وابن المعتز وأبو فراس والمعتمد بن عباد ، وتميم بن العز وكلهم من بيوت الملك والسلطان !! فلم يعد بعد هؤلاء مجال لدى السيد كي يعتقد أن الشعر أدنى مروءة السرى ، ولكن اقلاله من النظم يرجع الى هيامه بالشعر المنثور فجل لفتات الشاعر وهاجساته كانت الهاما لنثره الفني ، واذا استولى هذا الضرب من البيان على كاتب ذي موهبة شعرية فهو لا بد متحيف شعره كما نرى لدى بديع الزمان الهمذاني وأبي اسحاق الصابي وابن العميد، اذ ان هؤلاء شعراء مجيدون يفصح عن اجادتهم ما تركوه من الشعر على قلته ، وقد قام نثرهم الفني بتسجيل لمحاتهم الشاعرة ، وتسطير عواطفهم الجائشة ، فركنوا اليه كما ركن البكري الى نثره البديع !!

وحين نرجع الى الحقبة القصيرة التي نظم فيها البكري شعره ، نجدها حقبة المحاكاة الجيدة لروائع الشعر العباسي ، ففيها قد ذاعت أشعار البارودي ، وفهم الادباء تجديده الكبير في الشعر العربي حين خلع عليه ديباجته المشرقة ورفعه من وهدة الركاكة والتسولة واللعب بالمحسنات الى مستوى القديم المنتخب من ناصع القول وشريف العبارة وأنيق التركيب ! واذ ذاك اتجه تلاميذه من شعراء العصر وجهته الاسلوبية ، وأصبح رائدا لما عرف بين مؤرخي الادب الحديث باسم مدرسة البعث الشعري ومن تلاميذها محرم وشوقي وحافظ والبكري والرافعي ونسيم والكاشف وعبدالمطلب ، فكل هؤلاء – على تفاوت فيما بينهم – قد انتفعوا بريادة البارودي ، ونهجوا نهجه في القول ، وقد خلت هذه الحقبة من ناقد كبير يرسم للشعراء مذاهب القول ، ويتعقب آثارهم بالنقد والتحليل ، اذ ان اكثر النقدة آنذاك كاليازجي والمويلحي قد اتجهوا الى نقد الالفاظ والتراكيب ، ولم يسنوا طريقا جديدا يخرجون به عن الذائع المشتهر في أسلوب الشعر القديم ! لذلك كان انتاج هؤلاء الشعراء في هذه الحقبة متقاربا في موضوعاته وأفكاره وتعبيراته ! اذ كادوا يصدرون في القول عن عاطفة مشتركة ، فالمدح منصرف الى عبدالحميد أو العباس والرثاء مقصور على العظماء من الوزراء والحكام ، والغزل تقليدي تبتدىء به القصائد كثيرا وتنفرد به المقطوعات في النادر ! وانك لتلمس حيرة هؤلاء الشعراء في مقدمات دواوينهم الشعرية اذ يحس قارئها بافتقار الميدان الادبي الى ناقد كبير يأخذ بأيدي هؤلاء ، فشوقي مثلا يقول في مقدمة الطبعة الاولى القديمة من الشوقيات « اني قرعت أبواب الشعر وأنا لا أعلم من حقيقته ما أعلمه اليوم ، ولا أجد امامي غير دواوين للموتى لا مظهر للشعر فيها ، وقصائد للأحياء يحذون فيها حذو القدماء ، والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر الا ما كان مدحا في مقام عال » .

ويحصر أحمد محرم صفات الشعر الجيد بمقدمة الجزء الاول من ديوانه في «حسن الاسلوب والصياغة وجودة النظم وجمال التركيب الى تخير الكلم الرشيد ، وتخيل المعاني الانيقة » وواضح أن ما ذكره فيما عدا الجملة الاخيرة لا يخرج عن وصف واحد يرجع الى الاهتمام بالديباجة المشرقة وحدها .وقدكان أستاذه البارودي أرحب فكرا منه حين قال عن الشعر في مقدمة ديوانه ص ٢ ج ١ « وخير الكلام ما أستلفت ألفاظه وائتلفت معانيه ، وكان قريب المأخذ بعيد المرمى سليما من وصمة التكلف ، بريئا من عشوة التعسف غنيا عن مراجعة الفكرة !!»

أما الاستاذ احمد الكاشف فيسبح بخياله الى ما يخرج بعضه عن موضوع الشعر في لبابه اذ يقول في مقدمة الجزء الاول من ديوانه « وأبلغ الشعر وأنفعه ما جمع بين الاغراض النفسية والطبائع الجثمانية ، والحقائق العلمية الكونية وأصعبه ما تكلف فيه الناظم وصف المخترعات البخارية والمبتدعات الكهربائية وذلك لما تحتاج اليه من دقة الآلات وكثرة الادوات من غريب الالفاظ ووحشيها ولو اعتنى علماء اللغة بتعريب أسماء هذه البدع لصار وصفها على الشاعر العصري أسهل من وصف أشكال الرمل وأعضاء الناقة على الشاعر العربي القديم»

هذه الاقوال تبين خواء المحيط الادبي من نقدة موجهين ! مما جعل شعراء هذه الفترة يصدرون عن اتجاه جماعي حين يعكفون على محاكاة القديم ! والسيد البكري أحد هؤلاء دون نزاع ، فقد حاكى قدامى الشعراء في مدائحه ومراثيه وأوصافه ، واستقل بلمع طائرة ، ونظرات دقيقة كان حريا ان يطيل معها الوقوف لو وجد المحبذ الموجه ، ولكنها تلوح في خلال قصائده كخطرة البرق بدائم اضمحل !

نقرأ قصيدة السيد في مدح أمير المؤمنين فنجدها صدى قويا لمدائح الملوك والابطال في أزهى عصور اللغة العربية ، بحيث ترى معانيها تكاد تطير الى دواوين القدامى من الشعراء ، ومن المهم هنا ان ننص على ان هذا النمط من القول كان هو المنتظر المرتقب من جميع الشعراء ، بحيث لو حاد حائد عنه لعد اتجاهه غريبا يقابل بالتساؤل، فاشراق الديباجة ومتانة الاسر هما موضع المباهاة ومناط الجودة والاقتدار ، أما أن تكون المعاني مماثلة لما قال المتنبي في سيف الدولة أو ابي تمام والبحتري ومسلم في أبطال القواد فهذا ما لا يكون موضع مؤاخذة بل ان الامر ليصل الى النقيض حين يكون مجال المباهاة والاعتداد .

كان شاعر السلطنة العثمانية في دار الخلافة العظمى هو أبو النصر السلاوي الشهير في زمنه ، وقد حرص على أن يختار سبع قصائد مما قيل في مدح السلطان عبدالحميد في كتاب أسماه « عكاظ الادب» فوقع اختياره على سبعة جعلهم اهل الطبقة الاولى وأصحاب المعلقات السبع ! وهم وفق ترتيب المؤلف : السيد توفيق البكري وعبدالجليل المدني وجميل الزهاوي البغدادي ، وأحمد شوقي وولي الدين يكن وأحمد محرم وأبو النصر السلاوي جامع الكتاب !! وشاهدنا من ذلك أن جميع القصائد المختارة تدور على أفكار متقاربة وتنتظم اخيلة مشتهرة ، وان مجال التفصيل قد قصر على الديباجة وحدها ، وقد جاء السيد توفيق البكري أول اصحابه لقوة أسره ، وجزالة تركيبه ، مما يدل على أن المحاكاة المجيدة كانت دليل التفوق في هذا الزمان ! فعلى الذين يشيحون الان عن هذه القصائد التقليدية أن يذكروا جيدا أن عصر البكري كان مرحلة لا بد منها في تطور الشعر من اتجاه الى اتجاه ، وأن مطالبة شعراء هذه الحقبة بما تتطلبه اليوم من قوة الذاتية ، لدى الشاعر ودقة النظرة ، وتفرد الاحساس لم تكن مما يتاح ! وحسب البكري أن يكون في الطبقة الاولى من معاصريه بل كان زعيم هذه الطبقة المختارة لدى صاحب عكاظ حين قال عن أمير المؤمنين:

رمى الروم لما أن عتوا بكتيبه ... تميل بأعطاف الوشيج المقوم
أمد لهم في الحلم باعا رحيبة ... فزادوا طماحا في عتو وملام
كذاك مرارا النبت اما سقيته ... من العذب يزدد طعم صاب وعلقم
وزجوا جموعا كالدبى في عديدهم ... فألقاهم في جوف دهياء صيلم
أسال فجاج الارض بالجند تلتوي ... كأغدرة الوديان في كل مخرم
يموج بها الماذي في رونق الضحى ... كما ماج لج بين أرجاء عيلم
فمن كل مغوار ترى الروم دونه ... طرائد وحسن بين أظفار قشعم
ومن كل ذيال كان هويه ... هوى شهاب أو عقاب محوم

ومن كل حصداء لاص كأنها   على عاتق الاجناد بردة أرقم
وبيض كلون الملوح أما متونها   كنمل على نهى من الماء عوم
ومن منجنيق يستطير شواظه   بفوهة فيه كباب جهنم
عليه دخان يقطر الجمر بينه   كأسود دجن بالصواعق يرتمي
وجاءوا حرى كالوطيس أقامها   عليهم فكانت كالقضاء المحتم
يطير قشاري الحديد بأفقها   بحبل وتين او بكف ومعصم
كأن النصال البيض وسط عجاجها   شرار تعالى في دخان فحيم
ولا شيء فيها غير ضرب مفلق   لهام ورمى مثل تهطال مرزم
وطعن دراك يسبق الحسن للردى   فليس وان أفنى النفوس بمؤلم
أمال بلا ريسا عروش عداته   وأشرق من فرسالة الارض بالدم
كأن الاكام الادم لما تصبغت   به أنبتت نبتي شقيق وعندم
ويوم فلسطينو أقام نعيهم   بشعواء تنفي حدة المتغشرم
فاصلاهم نارا فقوم دراهم   كما قوم التثقيف معوج لهذم
فامسوا حديثا في البلاد وعبرة   وبادوا كطسم في الانام وجرهم
له الفضل ان خاض الوقائع قائد   فآب بنصر من جناها ومغنم
أصاب الذي قد سدد السهم أو رمى   اذا ما أصاب السهم شاكلة الرمي

فلو جهل القارىء مدلول أسماء « لاريسا » وفرسالة ، وفلسطينو، ثم قرأ القصيدة منسوبة الى شاعر عباسي كبير ، في مدح أميره القائد ما شك في هذه النسبة على الاطلاق ، لان الصياغة والاخيلة والمعاني مما ألفه واستمع اليه كثيرا في متقدم الشعر العربي ! وقد كان الذوق الادبي اذ ذاك يرى في هذا النمط من القول آية التفوق والسموق ، بل ان معارضة الاقدمين ظلت غاية يتطلبها النابهون من الشعراء فهم يحرصون عليها ليذكروا مع من عارضوهم من الفحول ! وأكبر مساوىء هذه المعارضة هي الحاح الشاعر في صياغة معنى تقدم به سابقه فهو يجتهد في توليده وتحويره ليثبت بهما دليل تفوقه ، ولو علم أنه بذلك يجانب وجدانه الصادق الى تاليف ذهني يكد القريحة في التعمل والتلفيق ، لنأى بشعره عن المعارضة والاحتذاء ! وأنى لرجال هذه الفترة بمصر – فيما عدا مطران – أن يقفوا على ما نضج به الزمن من آراء نقدية تأصلت بمرور الايام !

على أن الحرص الشديد على اتقان هذه المحاكاة لدى السيد البكري كان يملي عليه اختيار البحر والقافية في بعض ما يقول ، فحين أراد رثاء والده جاء بمرثيته على روي مرثية المتنبي ووزنها ! ولم يكن ذلك محض اتفاق لدى من يعرف ولوع السيد بمحاكاة الفحول ، وقد جاء بعده شوقي فنهج نهجه في رثاء والدته اذ حاكى المتنبي أيضا ، بقصيدته التي مطلعها :

الى الله أشكو من عوادي النوى سهما !

أما مرثية المتنبي في والدته فهي التي ابتدأها بقوله :

ألا لا أرى الاحداث مدحا ولا ذما

وعلى منوالها قال السيد البكري :

سقت رحمة الله الضريح وما ضما   وروت به هاما وروت به عظما

والذين يتاملون هذا الضرب من المحاكاة المتقنة ، يجدون الشاعر القوي يبرز عواطفه الصادقة دون أن تتحيفها صنعة بيانية أو يحرص على ما يعرف بقوة الاسر ، ومتانة السبك ، وكثيرا ما تجد الشاعر وانيا فاترا في مبدأ قصيدته اذ أنه اذ ذاك ينصرف الى اثبات قدرته على المحاكاة ، وهي مسألة تصرفه كثيرا عن استلهام مشاعره واستكناه عواطفه الى التفنن في الصياغة وابداع النسج ، حتى اذا بلغ حظه من ذلك التفت الى نفسه فواتته بما يستجاد ! ترى ذلك في أكثر ما نظمه شعراء البعث ، ورائدهم في ذلك البارودي اذ كان في مفتتح حياته الادبية يروض القول رياضة يعتمد فيها بادىء ذي بدء على سليقته الشعرية فهو ينظم البيت الاول والثاني والثالث كما ينحدر به السياق دون أن تكون لديه خاطرة واضحة يعبر عنها بجلاء ! بل انه يعترف بذلك حين يعنون بعض قصائده بقوله (وقال يروض الشعر) وما رياضة الشعر هذه الا المحاكاة المتقنة لذوي اهوائه وميوله من متقدمي الشعراء، وقد واتاه الطبع السليم بما يقرب كثيرا بين شعره والانموذج الذي يقتضيه ، حتى لتوشك أن تلحق بعض قصائده بعصرها السابق لو لم تفطن الى مكانها من ديوان البارودي ! ولك أن تقرأ مثل قصيدته :

ألا حي من أسماء رسم المنازل   وان هي لم ترجع جوابا لقائل

أو مثل :

نحمل من وادي الاراكة بالوجد   فعاد سليما لا يحير ولا يبدي

أو مثل :

سواي بتحنان الاغاريد يطرب   وغيري باللذات يلهو ويلعب

أو مثل :

ظن الظنون فبات غير موسد   وأقام بين عزيمة وتجلد

لك أن تقرأ أمثال ذلك لتعرف انه جذب تلاميذه الى المحاكاة المتقنة جذبا لا فكاك عنه ، فرثاء البكري – مثلا – لوالده يبتدىء بهذه المحاكاة اذ تقرؤه فتجد الذائع المشتهر مما يقال عادة في رثاء كبير فاضل ، وقد بدأه بقوله :

سقت رحمة الله الضريح وما ضما   وروت به هاما وروت به عظما
يعز على العلياء أن يسكن الندى   ترابا وأن تلقى به الحسب الضخما
وان تسكت الاجداث محراب مسجد   وكان به التسبيح يفعمه فعما
كأنك كنز قد دفناه في الثرى   كأنك غنم قد أحيل لنا غرما
كأنك شمس والجفون غمائم   فمذ حجبت أضواؤها انسجمت سجما
الا في جوار الله مولى عهدته   يجير على الايام ان وهصت ظلما
له كنف ينمى لآل محمد   تؤم الملوك الصيد أبوابه أما
وكفان كانا كالفرات ودجلة   يريشان من خصا بجود ومن عما
وعلم هو اليم الذي قد تنورت   أو اذيه الوارد فاستصفروا اليما
وبطش لمن عاداه تحسب أنه   شهاب هوى في أثر عفرية رجما
وصدر هو الدهناء في الازم فسحة   وليلة سر عند أسراره كتما
وقول عريق في الفصاحة لو غدت   تساجله عرب اذا أصبحوا عجما
وعدل هو العدل الذي قد قضى به   أبو حفص الفاروق في طيبه حكما

فسقيا الضريح ! وأسف العلياء ! وضياع الكنز في التراب ، واختفاء الشمس تحت غمائم الدموع ! وانهمار الكف بالندى كدجلة والفرات ، وجيشان العلم كالموج المتلاطم في اليم ، وسرعة البطش بالاعداء كالشهاب ! واتساع الصدر كالدهناء ! وفصاحة القول بما يحيل العرب عجما أمامها ، وعدل الفاروق في حكمه !! كل ذلك مما يتردد في الرثاء القديم ! بل ان به ما ينبو عنه المقام اذا قيل في شيخ طريقه زاهد حليم واسع الصدر كما في هذا البيت

وبطش لمن عاداه تحسب أنه   شهاب هوى في أثر عفرية رجما!

ولكنه اطراد النظم وفق مواتاة السليقة وانهمار الذاكرة !! وذلك ما يلحظ عادة في مفتتح القصائد التقليدية ! اذ يظل الشاعر مستنجدا بحافظته حتى تجيش عواطفه بالمعاني ، فينقل عن خاطره بعد ترويض مرن يستدني به البعيد ، ويسلس باطراده الارن الجموح ! وقد عبر البكري حقيقة عن شعوره الصادق حين تحدث عقب ذلك عن قبور بني الصديق ، فقد صور تجربته الصادقة اذ أخذته الهيبة الحزينة لمرأى مقابر أجداده وقد تلاصقت متجاورة في حجرة فسيحة بمسجد الامام الشافعي ! وأجال النظر الدامع الى ألسنة صامتة ، وعبر نواطق فقال في تأثير أليم :

أيقطر هذا الدمع كالشمع او أحمى   ويصبح هذا الهم كالسهم أو أصمى
وتخشع نفسي كلما شمت باللوى   قبور بني الصديق اذ رفعت ثما
وقرن بأكتاف البطاح كأنها   يلملم او ثهلان او جبلا سلمى
واما تراءت هيلت النفس عندها   قشعريرة للهيب أو وجمت وجما
أهيل على مثل العوالي ترابها   ووارت لدى أطباقها الدين والعلما

فالبكري هنا مع أسره القوي قد نقل عن احساس صادق ، فقال

الشطط

•

لو أنها تحبني فقط
ما أجمل الانسان والغرور والغلط
لو نظرة يا بنت اخرى.دللي أو قطبي
يا كوة تفتحت ترتجل الاشواق بي
فاينع القحط
كشاعر ما وحيه هبط
ما ذاق لفتة النساء قط
وهزه اي جناح بغتة فشط
وشاه وانفرط
وشاه واختلط
.. قلت بنفسي انها تحبني فقط
ما أصعب الشطط !
لم كان في الدنيا .. غلط

لندن — صلاح النيازي

ما يسمع ويستجاد ، ثم سلك مسلك القدامى في خاتمة مرثيته حيث استسقى الحيا قبور آبائه واجداده ، حين يحبو الدجن في الافق مليئا بالقطر كأنما تعلق لج البحر بأدرانه السحم ، وحين يلتمع وميض البرق في سيوله المنهمرة فيشبه ضحكة الباكي اذا أذهله الهم فاختلط حجاه ! حينذاك يرجو الشاعر أن يحي الحيا تلك القبور اذ طالما سقى اهلها الظامئين نعمى افضالهم الغامرة ! وذلك اذ يقول :

اذا ما تبدى الدجن يحبو كأنما ... تعلق لج البحر أردان السحما
ويضحك في خيطانه البرق موهنا ... كما ضحك الباكي اذا أكبر الهما
فحيا الحيا تلك القبور فطالما ... سقى أهلها الظمآن من فضلها نعمى

وقد نقلنا هذه الابيات الثلاثة لغرض هام هو أن نقارن بين نثر الشاعر ونظمه فقد عبر عن هذه المعاني حين افتتح حديثه عن صلاح الدين الايوبي قائلا : « اذ بكر العارض من جانب الجولان (١) كأن به كثبا من الرمل او ان ركنيه ركنا ابان (٢) أو ان فيه فحولا يجرجرن (٣) من قطم (٤) أو كتائب في الحديد والبروق أسنة وخذم (٥) ، وكأن كل مزنة فيه جفن ولهان أو أطباء (٦) غريرية (٧) رعت السعدان (٨) ، فيا سقي الغيث وقد أغدق ذلك القبر بحلق ! »

فمع كثرة الصور في هذه العبارة النثرية اذا قيست بما سبق في رثاء والده فلأبيات البكري رنة جميلة ذات تأثير نفتقده في حديثه النثري ! مما حدا ببعض الناقدين الى الحكم بأن البكري شاعرا أبدع منه ناثرا ... وقد احتاط الاستاذ العقاد في رأيه النقدي اذ فضل نظم البكري على نثره « من ناحية اجتناب الصنعة لان الموسيقية في النظم تغني الشاعر عن الاغراق في الزخارف والتنميقات التي يفتقر اليها الناثر (٩) » كما فضل نثر البكري على شعره من ناحية الموضوع « لان موضوعاته المنثورة صالحة لموضوعات الشعر الصادق وفيها نفحة من نفحاته ولولا الولع بمحاكاة المقامات والاكثار من التشبيهات وذكر الآثار الدوارس لكانت أقرب الى السليقة وأدخل من باب الادب الحديث (١٠) وعقب على هذين الرأيين بقوله (١١) ولا تناقض بين القولين لان التناقض انما يكون بين رأيين مختلفين في الشيء الواحد والحالة الواحدة وهذا غير ما عنيناه وبيناه » . واذا كان الاغراق في الصنعة والولوع بمحاكاة المقامات مما يضائل تأثير الكاتب مع رقة موضوعه ودقة وصفه فاننا نعرض مثلين آخرين في موضوع واحد من انتاج السيد نثرا وشعرا لنعلن ان الالحاح في التوشية والتزيين في نثره والبعد عنهما في نظمه قد أتاح له انجذابا شعريا يقربه من النفوس ، وللقارىء ان يقرأ قول السيد في وصف السفينة والبحر تطبيقا على ذلك

« وأخذت السفينة تشق اليم شق الجلم (١٢) في ريح رخاء وزعزع ونكباء فهي تارة في طريق معبد وميت (١٣) مطرد وطورا فوق حزن وقردد (١٤) وصرح ممرد ، فبينما هي تنساب كالحباب (١٥) ، اذ هي تلحق الرباب (١٦) ، وتحلق كالعقاب ، فتحسبها تارة تحت القتام ، جبلا تقشع عنه الغمام ، وتخالها مرة عائما على شفا ، قد غاب الاهامة أو كتفا ، والبحر آونة كالزجاج الندي أو السيف الصدي ، يلوح كالصحيفة المدحوة (١٧) أو المرآة المجلوة وحينا يقلب زخاره ويموج مواره فكأنما سيرت الجبال ، وكأنما ترى قبابا فوق أفيال وكأنما قبور في اليم تحضر ، وألوية عليه تنشر ، وكأن العد (١٨) يمحض عن زبد ، وكأن الدوي من جرجرة (١٩) الآذي زئير الاسد وهزيم الرعد » .

ثم يقرأ قوله في الموضوع نفسه شعرا :

أجدك هل تدري وقدسرت والدجى ... يخال على الآفاق درعا مسردا
أخوض عبابا فوق فلك تظنها ... على سروات اليم قصرا مشيدا
تهادى بها مثل العقاب وتارة ... ترقى من الامواج صرحا ممردا
وترزم حينا فيه حتى كأنها ... تجوز على العلات حزنا وقرددا (٢٠)
خضارة (٢١) مرآة السماء فلم تزل ... ترى وجهها فيه وان بعد المدى
فان اشرقت فيه الغزالة خلتها ... كعين بجوف البحر تقذف عسجدا
وان لاح تحت الماء بدر رأيته ... كماوية يعلو على متنها صدى
وربما خلت النجوم عشية ... لآلىء في قاعيه مثنى وموحدا

فمع تقارب الصور ـ والالفاظ أيضا ـ فللشعر ابداع لا يصل اليه النثر ، وقد ذكر الاستاذ طاهر الطناحي هذين النصين بالعدد الثاني من ابولو (اكتوبر عام ١٩٣٢) وعقب عليهما بقوله :

« هنا فارق عظيم حقا بين نثره وشعره كما في غير هذا الموضوع مما نثره ونظمه حتى أننا نستطيع ان نقول ان السيد توفيق البكري شاعر من شعراء الطبقة الاولى على قلة ما نظمه ، ولو كان الزمن قد ابتسم له كما ابتسم لغيره لاخرج ثروة شعرية يقدرها كل أديب ويعجب بها كل قارىء » .

ولن تمنعنا هذه القلة ان نستعرض بقية أغراضه الشعرية محللين.

والحق أن المدح والرثاء وقد تقدم مثالاهما من شعر السيد ، لا يصوران قدرته الشعرية ، كما يصوره الوصف التصويري في أدبه، اذ انه حين يصف يكون ملحوظه بارزا بين محفوظه ، والرجل ذو خيال لا مراء ، وبه يستطيع ان ينقل لك المحسوس في صورة بديعة تروقك.

الفيوم ــ دار المعلمات — محمد رجب البيومي

---

(١) جبل بالشام (٢) جبل بنجد (٣) يهدرن (٤) القطم هياج الفحل (٥) سيوف (٦) حلمات الضروع (٧) نسبة الى فحل شهير (٨) نبت من أفضل المراعي (٩) شعراء مصر ص ٦٩ (١٠) ص ٥٩ أيضا (١١) ص ٦٩ (١٢) المقراض (١٣) أرض سهلة سقيمة (١٤) أرض غليظة (١٥) الحية (١٦) السحاب (١٧) المبسوطة (١٨) البحر (١٩) صوت اليم (٢٠) الارض الغليظة (٢١) اسم البحر .

صانع الاحذية

بقلم عبدالحميد الانشاصي



كثيرا ما التقيت ذلك الرجل الاعرج في الشوارع والاسواق فتخطيته ببصري دون ان اعيره اهتماما . بينما كان معظم المارة من الناس يحيونه ويلقونه بالبشر والابتسام مرحبين مؤهلين .

وفي ذات يوم اغتنمت فرصة زيارة صديقه الاستاذ سليم لي في منزلي فقلت له :

ــ ان ما استغربه ان تتخذ رجلا اميا لا وزن له صديقا لك تلازمه في كثير من اوقاتك مع أن بينك وبينه من الفرق مثل ما بين السماء والارض .

فحدجني الاستاذ سليم بعين ساخطة وقال :

ــ من تعني بالرجل الاعرج ؟ (فؤادا) صانع الاحذية ؟

ــ اجل .

فابتسم ابتسامة جافة ساخرة ثم قال :

ــ انك تحكم على الناس بمظاهرهم دون ان تحمل نفسك مشقة اكتشاف نفوسهم . نعم ، انني أستاذ في مدرسة ، وهو صانع أحذية ، ولكنه استاذ في مدرسة الحياة . لقد كنت مثلكاسخر من اولئك الذين يرافقونه ويصاحبونه . أما الان فقد تبين لي كل شيء ، وايقنت انني كنت على خطأ عظيم في نظرتي الىذلك الرجل.

فأظهرت للاستاذ سليم ميلا شديدا الى الاطلاع على أحوال صديقه صانع الاحذية وعلى ما خفي علي من امره . فسرد علي قصة حياة صديقه بأسلوب شائق ، وجعلني اكبره في نفسي . قال :

نعم ، فؤاد رجل أعرج. انه يعرج في مشيته ، ولكن عرجه لا يخفض من قدره ولا ينقص من قوته ، فان جسمه متين التركيب صلب العضلات. وهو يثق بنفسه ويعتز بقوته .لذلك أطلق شاربيه الكثفين وبرم طرفيهما فجعلهما في شكل الهلال . ومن فوقهما عينان تتفجر منهما نظرات تعبر عن قوة شخصيته وشدة تأثيره في معارفه . ومن تحت شاربيه فم ممتلىء الشفتين ينبعث من بينهما صوت غليظ يوحي الى محدثه باحترامه ومهابته . وتراه يتكىء على عصاه بقوة تظهره في مظهر الوجيه لا بضعف يظهره في مظهر العاجز .

يدهشك ان اقول لك : ان لفؤاد اصدقاء من طبقات الشعب الفقيرة ، وله اصدقاء ايضا من الطبقاتالفنية ذات النفوذ والجاه،كما ان لهاصدقاء من اللصوص والموظفين والمثقفين .

ان افراد الطبقة الفقيرة يحبونه لانه يختلط بهم في كل حال . تجده في الاعراس يقدم الشراب والمأكولات للناس ، وتجده في الجنائز يحمل طرفا من النعش على كتفه . تراه في المقاهي محدثا بارعا ، وفي حفلات السمر مغنيا مطربا وعازفا على العود بمهارة غريبة .

ويحبه اهل اليسار لانه يساعدهم على اكتشاف المعتدين على اموالهم بالنهب والسرقة اذ يعيد اليهم أموالهم المسروقة لقاء مبالغ ضئيلة يقدمها الى اللصوص المعتدين فيشترون بها ما يحتاجون اليه من طعام ولباس . فيحبه اللصوص ايضا لهذا السبب نفسه .

لقد احترمه موظفو الشرطة على أثر مشاجرة وقعت بينه وبين ضابط التحقيق . اشتبه هذا بفؤاد في حادثة قتل ، فاستدعاه اليه واخذ يحقق معه فلم يصل الى نتيجة مرضية ، فصفعه على خده صفعة مؤلمة . فرد عليه فؤاد بصفعة أشد ايلاما منها. فقال له ضابط التحقيق: « اتجترىء علي ؟!» .

فأجابه فؤاد : « انك تبحث عن المعتدي لتعاقبه ، ولكن أراك أنت معتديا فقد كنت البادىء بصفعي . خير لك ان تضع حدا لاعتدائك قبل أن تضع حدا لاعتداء غيرك » .وقد حاول ضابط التحقيق ان ينتقم من فؤاد انتقاما عظيما ، ولكن اصدقاء هذا حالوا بين ضابط التحقيق وما يريده ، فلم يجد بدا من الانتقال الى بلد ناء حيث لا يعرف الناس ما وقع بينه وبين صانع الاحذية .

وقد احترمه المثقفون على اثر جدال جرى بينه وبين احدهم .جلس فؤاد ذات يوم بين لفيف من الاساتذة والمثقفين المعروفين في المدينة ، واخذوا يتحدثون عن الاسفار وفوائدها وما يعود منها على المسافرين من لذة ومتعة وخبرة . واخذ كل من الحضور يفاخر بما قام به من رحلات في الشرق والغرب ويعدد حسنات المدن التي زارها والعجائب التي شاهدها . وكان فؤاد طول الوقت ساكتا مصغيا . فالتفت اليه احد الاساتذة وقال له : « وانت يا فؤاد، ماذا رايت في رحلاتك ؟ حدثنا عن اسفارك ورحلاتك » . وقال استاذ آخر مبتسما : « اظن ان فؤاد لم يغادر بلاده قط » . فالقى فؤاد على هذا نظرة شزراء وقال له بعد لأي : « لم اقم يا سيدي برحلات ذات شأن ولم أزر عواصم البلاد الاوروبية والاميركية ، ان القطر الوحيد الذي سافرت اليه خارج بلادي هو مصر. ومع ذلك فقد وجدت في القاهرة من المتع ما لم يجده منها من سافر الى أجمل عواصم العالم . ليس الامر بالمتاحف والانغماس في الشهوات الجسدية مع الحسان الفاتنات في

باريس والبندقية وغيرهما من البلدان الطليقة ، وانما الامر بتفهم روح المدينة التي يزورها المسافر والتمتع بميزتها . حينما زرت القاهرة اعجبت بنيلها ومسارحها واهرامها وآثارها القديمة وبجمال نسائها ، ولكنني لم اكتف بذلك بل بذلت مجهودا في تفهم الروح المصرية . اختلطت بالمصريين كثيرا حتى درست اخلاقهم وميولهم وعاداتهم . وبعد ذلك ختمت سفري بمتعة لن انساها ابدا ، فقد قضيت مع رفاق لي مصريين ساعات معدودة في القناطر الخيرية حيث اجتمعت لي المميزات المصرية . كان بين معارفي ضارب ماهر على العود ، وآخر رخيم الصوت ، وثالث بارع النكتة . وكان معنا ما لذ وطاب من المأكولات ، وامامنا النيل الرحب الصدر وعليه القوارب ناشرة اجنحتها البيض ، وعلى ضفاف النهر تقوم اشجار تؤلف خضرة متلائمة مع زرقة السماء ومع صفاء الماء .وكانت الشمس توزع من افقها غمزات من اشعتها اللطيفة على تلك المناظر الخلابة .وقد احتضنتنا الطبيعة مع ما احتضنت من عشب واشجار ومياه . فقضينا اوقاتنا ذاهلين من شدة البهجة والسرور . ان تلك الجلسة الخالدة لا تزال مرسومة على ذهني ، ولا تزال الروح المصرية متجلية في مخيلتي وقد طفت بجمالها على الاهرام والاثار القديمة حتى على خفة الدم المنبعثة من وجوه الحسان المصريات » . لم يكد فؤاد يتم كلامه حتى تبادل الحضور نظرات اعجاب بفؤاد وتقدير له .

ولزواج فؤاد قصة غريبة .كانت تمر بحانوته في كثير من الاحيان فتاة ممشوقة القامة ذات وجه جميل ومشية مغرية . وفي ذات يوم التقى نظره نظرها ، فتضرج وجهها حياء وارتسم على وجهها ظل ابتسامة فاتنة لم يلبث ان انعكس على ثغر فؤاد .

مضت اسابيع معدودة على هذه المقابلات الصامتة انتهت بمقابلة فعلية . فقد دخلت (فاتنة) حانوته ذات يوم وطلبت منه ان يأخذ قياس قدمها ليصنع لها حذاء . اخذ فؤاد قياس قدمها وهو يداعبها بكلام رقيق ويغمرها بنظرات غرامية ملتهبة ، وتمنى ساعتئذ لو أنها زوجته .

فاتنة ابنة رجل موسر كان منذ بضعة سنوات يقيم في دار قديمة بسيطة على مقربة من الدار الاثرية التي يقيم فيها فؤاد . وكان هذا في ايام صباه يلاعب فاتنة ويحميها من أذى لداته واعتداءاتهم . وكانت فاتنة معجبة به كل الاعجاب ، فقد كان في ذلك الوقت زعيم الغلمان لامتيازه عليهم بقوته الجسدية ومرونة سلوكه وقوة شخصيته ودماثة اخلاقه .

غير أن الزمان شاء أن يفرق بين فؤاد وفاتنة ، فقد نجح والدها في تجارته نجاحا عظيما وأصبح من الموسرين ، فانتقل من الحي القديم الى احد الاحياء الجديدة من المدينة . وكان والدها متمسكا بالدين تمسكا شديدا ، وكان يرى ان امعان ابنته في الدراسة العالية يبعدها عن الدين ويفسد خلقها . لذلك اكتفى بما اكتسبته من تعليم ثانوي في مرحلته الاولى . وبذلك وضع حدا لطموحها في الزواج من حيث لا تدري .وهي لم تفكر في اتخاذ محام او طبيب او مهندس زوجا لها بل قنعت بفؤاد. انه حبيب قلبها وهدفها في هذه الحياة .

حينما اخذ فؤاد قياس قدمها ايقن انها وقعت في هواه وانها تميل الى اتخاذه زوجا لها . ولكنه قال في نفسه : « هل في الامكان ان أتزوج بابنة موسر ؟ انني صانع احذية الى الفقر أقرب مني الى الغنى. انني سليل اسرة عريقة نبيلة كانت ذات ثراء ونفوذ ، غير انها فقدت ثراءها ونفوذها وخلفت لي ذلك القصر الاثري القديم الذي لا يصلح للسكن في هذه الايام . اما هي فقد انحدرت من اسرة فقيرة بسيطة لم تلبث ان ارتفعت الى سماء الثراء بفضل نجاح والدها . فهي على عكسي تماما » .

وبعد ايام جاءته فاتنة ، فناولها حذاءها المفصل فأخذت تقلبه بين يديها وهي تسرح فيه نظرات الاعجاب وتقول : «ممتاز! ممتاز ! » . والحق ان ذلك الحذاء كان أجمل حذاء فصله لامرأة في حياته . لقد اودعه كل ما يملك من براعة وفن وحب . فجاء حذاء تاما متقن الصنع جميل الشكل خفيف الحمل .وجهه ناعم كبشرة الفتاة ، وكعبه مشرف كعنق الحسناء ، ووسطه نحيف كخصرها ، ومقدمه شبيه بطرف اللسان .

لم تكتف فاتنة بذلك الحذاء بل عادت الى حبيبها وطلبت منه ان يفصل لها بابوجا . وقد أتقن صنع ذلك البابوج .

ثم عادت اليه ليصلح لها حقيبة يدها .

وهكذا تكررت المقابلات بين الحبيبين ، فازداد الهوى تمكنا من قلبيهما . وقد اطمعت فاتنة عشيقها بمقابلاتها في الزواج بها . وشجعه اتقان حذائها على صنع احذية كثيرة في نوعه ، فأقبلت الفتيات على احذيته واشترين منها عددا كبيرا . وبعد ذلك انتقل فؤاد الى حانوت واسع ، واكثر من عرض مصنوعاته فيه . وصار يكد نفسه ويسهر الليالي في صنع الاحذية . ولم يكن هناك من حافز على ذلك سوى حبه لفاتنة وطمعه في الزواج بها . يريد ان يكون اشهر صانع احذية في المدينة لكي يتمكن من اتخاذ فاتنة زوجة له. بلغ من الشهرة اوجها ، ولكنه لم يكن على يقين من ان حبيبته في متناول يده .

واخيرا دخل الهوى طورا آخر ، فقد اخذت فاتنة تتردد الى منزل فؤاد ليلا .وكانت تخرج من منزلها

في موكب الحب

لقيت في عينيك شط الامان — فكيف لا أشكو الهوى كل آن
وهل وراء الصمت الا صدى — أغنية مفعمة بالحنان
أو آهة حرى ... تباريحها — تكسو ربيع العمر ثوب الهوان

حبيبتي !... بالله لا تعتبي — ان أطلق الشك لوهمي العنان
فانت لا تدرين أي الرؤى — تغمر دربي بالاماني الحسان
تمر أعوام وفي خاطري — فرحة لقياك شذى عنفوان
وفي سمائي منك اشراقة — يموج شوقي في هواها افتتان
وكل هذا الكون ، من لهفة — أحضنه في القلب أي احتضان
ماذا يؤول الروض ان لم يفح — منه عبير الورد والاقحوان
وأي قلب ينتشي فرحة — ان لم يكن للحب فيه مكان

نحن حبيبان ... رضعنا الوفا — فلتعصف الريح ويقسو الزمان
وليرتم الليل على دربنا — فلن تغيب الشمس قبل الاوان

عمان — عبدالرحمن سالم عاليه

بحجة مشاهدة الافلام السينمائية ، وغرضها مقابلة حبيبها في منزله .

وفي احدى الليالي المقمرة كان فؤاد جالسا هو وحبيبته عند بركة منزله الاثرية . وكان الماء ينبثق من الفوارة في دلال ولغط غريب ، ثم ينحدر الى البركة . وكان نور القمر يزحف على اركان احدى الغرف القديمة التي تطل على البركة بباب اهتم ونوافذ مفقوءة . وكان بعض نور القمر يبتسم على صفحة الماء في البركة ويضيء كالمصباح في اعالي الماء النافر من الفوارة.

وعلى هذه المناظر الجميلة قالت فاتنة لحبيبها :

ــ لا شيء احب الي من الجلوس في فقرك هذا ، انه يذكرني بأيام الصبا التي قضيناها معا في هذا الحي . الا تذكر تلك الايام السعيدة حينما كنت تلاعبني والاعبك وتصد الاولاد المعتدين عني ؟ لقد احببتك منذ تلك الايام . انني احن اليها كثيرا ، واتمنى لو انني أقيم في هذا القصر لاعيش على مقربة من الساحة التي كنت ألعب فيها وأنا صغيرة . لقد أصبحت نفسي جزءا من هذا الحي العزيز علي . انني كالسلحفاة التي لا تستطيع ان تعيش خارج بيتها الذي ولدت وهي فيه .

فخفق قلب فؤاد سرورا وقال :

ــ واذن فأنت ترغبين في الاقامة هنا .

ــ ما في ذلك شك .

ــ ولكن أباك يمانع في ذلك .

ــ وان يكن . اريد ان اعيش معك . انني اهواك . فؤاد !

وتبادلا قبلات طويلة قوية . ثم قال فؤاد :

ــ أخشى ان يزوجك ابوك بشاب يحترف مهنة رفيعة ويملك من الاموال ما ليس في يدي .

فهزت رأسها بعلامة النفي ثم قالت:

ــ انني احبك لنفسك . احب فيك نفسك . في نفسك تجتمع ذكريات صباي . كنت في صباك زعيم الغلمان وانت اليوم زعيم الرجال .

ــ ولكن من المحال ان يوافق والدك على ما تريدين .

ــ ولم لا احقق اماني على الرغم منه ما دامت تسعدني ؟

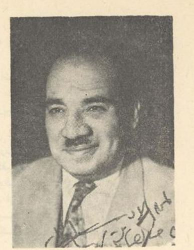
لقد تزوجت فاتنة عشيقها على الرغم من والدها ، فحرمها حقوقها من الميراث ، واقسم الا يعترف بها ابنة له .

وقد رزق الزوجان مولودا ذكرا يشبه وجهه وجه أمه . وقضى الزوجان بضع سنوات سعيدين هانئين . غير ان فاتنة أصيبت بالسل ــ ذلك الداء الوبيل الذي اكتسح الاحياء القديمة من المدينة وقضى على عشرات من السكان .

وحينما شيعت فاتنة الى قبرها مشى في جنازتها جمهور غفير من اهل المدينة احتراما لفؤاد ومشاركة له في مصابه .

وقد ابى فؤاد ان يتزوج بعد وفاة فاتنة . وكان ولده الصغير الذي يشبه أمه وجها هو كل عزائه في هذه الحياة .

نابلس — عبدالحميد الانشاصي



انــور الجنــدي

الدكتور أمير بقطر

بقلم انــور الجنــدي

* * *

ودع الدكتور امير بقطر دنياه في خلال شهر أغسطس الماضي وكان في احدى جولاته الصيفية ورحلاته السنوية في النمسا ، ثم عاد الى القاهرة جدثا محمولا على الاعناق ليوارى في التراب بجوار والدته في مقابر القاهرة . وقد اهتز كل من عرف الدكتور بقطر للنبأ ، فقد كان لا يزال في دائرة الستين لم يتعداها ، خفيفا مرحا ، لا تثقله تكاليف الحياة ، ولا مشاغلها ، يقضي عامه في معهده بالقاهرة يعلم ويربي ، ثم يطير في اوائل الصيف فيطوف بالعالم ما شاء له الله ان يطوف . حتى ليخيل اليك انه ما ترك بلدا من بلاد اوروبا وامريكا لم يقصد اليها ، ولم يعش فيها ايامه ولياليه .

ولو كان الدكتور بقطر مربيا واستاذا بالجامعة فقط ، لما كان الحديث عنه من شأن الادباء والنقاد والمشتغلين بالدراسات الادبية والصحفية ، ولكان ذلك من حق العلماء والمربين والاساتذة . ولكن الدكتور بقطر قد مارس العمل في الكتابة الادبية وواجه قراءه عن طريق الصحف والمجلات اكثر من ثلاثين عاما ، واختص باكثر انتاجه مجلة «الهلال» التي تصدر في القاهرة فكتب بها منذ عام ١٩٣٠ وواصل كتاباته شهرا بعد شهر لا يتخلف الا في بعض اشهر الصيف ، حتى عام ١٩٦٠ تقريبا وقد احصيت له في هذه الفترة اكثر من ثلاثمائة مقال ، في فنون منوعة من الحديث ، خفيفة طلية كظله ، حية مليئة بالحركة متصلة بكل شئون الحياة ، فلم يكن الدكتور امير بقطر استاذ التربية وعميد كليتها بالجامعة الامريكية بالقاهرة في هذا الجانب الا انسانا مثقفا يعيش عصره ، على النحو الذي اعتنقه وآمن به ، من خلال ثقافته ومطالعاته واتصالاته . ولا شك ان للدكتور بقطر جانبا اخر في الكتابة فضلا عن العمل ، ذلك هو اصداره مجلة «التربية الحديثة» ومشاركته فيها منذ عام ١٩٢٨ وهي مجلة متخصصة تصدر ثلاث مرات في العام أو اربع . وتتناول ابحاث التربية وقد والاها بالكتابة في مجاله ذاك الذي عرف به بين الاساتذة والعلماء .

اما في مجلة الهلال وهو في الغالب قد قصر كل انتاجه الادبي عليها فقد كان في اهابها «انسانا» قبل ان يكون باحثا او أديبا ، انسانا يعيش حياة عصره ، ويتصل بكل قضاياه ومشاكله واحداثه ، يناقش كل الامور من وجهة نظره تلك التي كونتها ثقافته وتعلمه في الجامعات الامريكية ، واتصالاته بالجامعات الاوروبية المختلفة ، ونمط الثقافة وطابع الذوق الذي كونه منذ الصبا بعد ان غادر بلدته «اسيوط» الى القاهرة فالعالم العربي وقد تفتحت امامه افاق الحياة والفكر والثقافة . ومن ثم كانت آراؤه ونظراته كلها نابعة من هذا «الطاق» ولا ضير عليه في هذا ، ولا عتاب ، فكل انسان هو ابن ثقافته وبيئته وتكوينه .

ولقد تختلف مع الدكتور بقطر في بعض ارائه ، واهمها اغضائه عن فضل العرب على الحضارة خلال الف سنة متجاوزا هذه الفترة دائما في ارائه ، رابطا بين حضارة الرومان وحضارة الغرب الحديثة ، لكن هذا الموقف منه لا يدعنا ننكر قدره كباحث وعالم ورجل حمل رسالة القلم اكثر من ثلاثين عاما ، وكتب صفحات نافعة وطريفة معا ، وتلك آية الانصاف ان نقول كلمة الحق فلا يدفعنا الخلاف في الراي على انكار فضل ذوي الفضل ، وقد اتخذنا هذا المنهج اساسا لابحاثنا في موسوعة «معالم الادب العربي المعاصر» فلم نغض عن فضل الباحثين ابدا، ولكنا عرضنا لاوجه الخلاف التي قد نتعارض فيها معهم اذا اغضوا عن فضل لامتنا ، او نظروا وراء نظرة الباحثين الغربيين ، او تابعوا اخطاءهم .

ولقد تناولنا الدكتور امير بقطر بالدراسة في كتابنا «الكتاب المعاصرون : اضواء على حياتهم» الصادر عام ١٩٥٧ ولعل الصديق العزيز الاستاذ وديع فلسطين لم يقرأ هذا الكتاب ، وانا اتخيله اليوم وأنا اتحدث عن الدكتور بقطر فكأنما أوجه العزاء له في صديقه الباحث الكبير .

ولقد كان من رايي ان طبيعة العلماء تغلب طبيعة الادباء في كتابات هذا الرجل ، بالرغم من نفسيته الشاعرة، وعاطفته المشرقة ، ولعل ابرز ما يتسم به ادبه انه يخلط العلم والادب في مزاج جميل ، تجد فيه العاطفة والعقل

يوازنان المعنى وينتظمان الراي ، ولست أعرف كاتبا تناول نفسية المراة والرجل والصراع فيما بينهما ، كما تناولها امير بقطر في عشرات من المقالات . وقد اغرم في السنوات الاخيرة من حياته بالدراسات النفسية واوغل فيها وخصصت له « الهلال » بابا يرد فيه على الاسئلة النفسية وقدم اغلب كتبه عن : فن الزواج ، والقصور الجنسي ، وانت وانا من اين جئنا ، و٢٠ سنة في حجرة الاعترافات .

وفي اكثر مقالاته يتناول امور المراة والحب والحياة على نحو مستمد من دراسات اعلام هذه المباحث الغربيين والامريكيين بالذات ممن قرأ لهم واعجب بهم ، وعماد فلسفة في هذا المجال مستمد من ثلاثة اعلام كبار : جون ديوي صاحب نظرية البراجماتزم ، وديل كارينجي ، وفرويد ، فهو يطبق اراءهم في الاغلب على المجتمع الشرقي والمصري محاولا ان يجري به في مجرى الحضارة الحديثة حيث الاختلاف واضح في كثير من الامور والمسائل بين عصر وعصر وفكر وفكر ، ولكنه على الرغم من امانته لثقافته هذه ، فقد كان خفيف الظل ، سمحا ، لا يعارك في عنف سلامة موسى ، ولا يدافع مدافعة المندفعين ، وانما يجري في الاقناع بارائه على سنة المرونة والتربية ومعاودة النظرة مرة بعد اخرى ، اشبه في ذلك بالدكتور صروف وجرجي زيدان ، ولست أود اليوم ان اناقش الدكتور بقطر رحمه الله اراءه وانما اريد ان ارسم صورة لرجل عاش ثلاثين عاما يكتب ويقرأ ويسافر ، تلك الجوانب الثلاث البارزة في حياته امامي اليوم ، فانما اردت من مراجعة سريعة لاثاره ان استخلص منها صورة نفسه .

اما الكتابة فقد تطور اسلوبه وتأنق وعذب في السنوات الاخيرة ، الى حد يغري بأساليب أقدر كتاب العربية ، وقد داخلته فنون الاساليب الغربية فأعطته ذلك اللون الطريف الطلي ، الذي يمزج العلم والادب ، والجد بالفكاهة وهو يصور صاحبه جملة في صورة رجل مرح ، منطلق ، باسم فكه ، وربما كانت هذه الصورة تختلف كثيرا عن صورته الحقيقة على الطبيعة ، هادئا ، منزويا ، لا يحب المعارك ، ولا يصاول في مجالات الفكر ، فاذا كان الاسلوب هو الرجل كما يقول بوفون فان هذا المعنى عند امير بقطر يتمثل في صورة الرجل المحدث ، الذي يفضي الى قارئه اكثر مما يفضي الى محدثه ، والذي يضمر مشاعره وبطويها في خجل وحياء ، فاذا اتيح له ان يمسك قلمه نشرها في صراحة وجراة ، ولعل ابرز ما تعطيه كتابات امير بقطر صورة رجل محب للحياة ، كلف بها ، راغب في مختلف متعها واسمارها واضوائها ، محب للمراة ، والجمال ، والحضارة ، والمتاع الحسي وايماني انه حين يكتب ذلك انما يخفف من بعض المشاعر النفسية ، اما يقيني عنه فانه رجل محب للحضارة متمثلة في المتاحف والمكاتب والفنون ، والانهار والبحيرات والاضواء ولكنه ليس كلفا متهالكا كتهالك اصحاب المتعة الحسية .

وهو يؤمن بان الكلمة خادمة للمعنى ، والادب عنده هو ما ليس علما ، معززا بالتجارب ، ويرى ان العلم ادب في بعض الوجوه ، والادب علم في بعض الوجوه ، وكما ان العلم في حاجة الى ادب يحمل رسالة الى القراء ، من جميع طبقات الناس ، كذلك الادب يحتاج الى العلم حتى تكون عبارته مقررة مستندة على عمد فولاذية متينة .

ولقد بدأ كتاباته في الهلال (ابريل ١٩٣٠) بمقال عنوانه « الشرق نكبته الادب» ثم واصل كتاباته في موضوعات تتعلق بالمال ، والاداب ، والفريزة ، والتناسل، ومقياس الخير والشر ، والجمال والتجمل وتوالت مقالاته عن فن المشي ، وفن الاصفاء والجمال الروحي والجمال المادي ، وغراميات الشواطيء ، وهواة التشرد ، والسكوت ، والتمويه ، والرجل الصفيق ، وهي مقالات مطولة ، تدل على مطالعة واسعة وخبرة طويلة ، معروضة في أسلوب طلي جذاب .

وبالرغم من ايمان الدكتور بقطر بالحضارة الغربية ايمانا كاملا ، ومتابعة للفكر الغربي متابعة شاملة ، فان له موقفا واحدا يخالف فيه نظرات الحضارة ذلك هو موقفه من «المراة» فهو في كل مناسبة يحاول ان يقول كلمته « مهما قيل من ان المراة تتساوى مع الرجل كلما تقدمت الحضارة فان طبيعتها الاصلية ستبقى ما بقي الزمن وسيظل البيت نهاية مطافها » ، واحيانا يذهب الى ابعد من ذلك حين يقول : الرجل اجمل من المراة ، او يقول : المراة الحديثة لا تريد ان تكون امراة . وله في القصة راي ربما بدا غريبا بين مجموع ارائه فهو يراها من كتب المواسم التي تقبل عليها الجماهير ثم تختفي تدريجيا كما تختفي أزياء الشباب ، يقول « في الوقت الذي تكاد فيه القصة تمثل في البلدان العربية مكان الصدارة ان مصيرها كغيرها من كتب المواسم اخلاء مكانها لسواها .»

اما القراءة فهي عنده فن يقول « لنقرأ كثيرا ونتكلم قليلا » . ومن عجب أن يكون اول مقال له في مجلة التربية الحديثة وهو أول ما قرأنا له على العموم (يناير ١٩٢٨) عنوانه « القراءة الصامتة » يتحدث فيها عن أسلوب جديد للقراءة يحقق الحصول على قدر كبير من الثقافة في ساعات قليلة ، ويرسم تجربته الخاصة التي هدته الى هذا الفن « انني كنت اخجل ازاء سرعة اخواني الفائقة في فهمهم ومطالعتهم ونظرتهم الى عبارات القرطاس ، كالنظرة العامة التي يلقيها الطيار الماهر من سماء طيارته الى منازل المدن ، فطنت الى ذلك وكنت حدث العهد ، فأخذت ادرس السر وهو بسيط جدا ، كنت اطالع الفصل في الكتاب في ساعة وقد كان يطالعها جاري في الكلية او المكتبة في نيويورك في عشر دقائق ، فكنت اخجل

من نفسي » .. ثم يصور كيف يمكن ان يتحقق الوصول الى السرعة المطلوبة بأن يرفع القارىء رأسه مبتعدا عن صفحات الكتاب بقدر ما يسمح له نظره وراحته في جلوسه ، ثم يمر ببصره على الصفحة فقرة فقرة مهملا في الغالب حروف العطف والجر ، فيستخلص المعنى ، كما تستخلص القشرة من اللبن » .

وفي أحاديث متعددة يصور انطباعاته عن «الكتاب» فيقول :

« من الكتب ما يذوقه القارىء بلسانه للتعرف على طعمه ، وما يبتلعه ابتلاعا ومنها ما يمضغه جدا ويهضمه وئيدا » . وعنده ان الكتب التي تبحث في طبيعة الانسان وأسرار الحياة ومصير الانسان ونهايته وما بعد الموت هي اكثر المؤلفات تداولا ، واعتقد انه يعجب شخصيا بهذا اللون من المؤلفات ، وهي ابرز فنون كتاباته .

ويقول « وليست الكتب كلها غذاء للنفوس فمنها الدسم ومنها الهزيل ومنها ما يحمل راية السلام وينادي بالحب والوئام ، ومنها ما يوغر الصدور ويثير الحقد والبغضاء ويدعو للحروب ، ومن الكتب ما يقرأ للتسلية والترفيه ، ومنها ما يقرأ للزينة والتذويق ، ومنها ما يقرأ للمعرفة والقوة » . وعنده ان الكتب تصقل طبيعة الانسان وتكمل ما ينقصها من صفات ، كما ان الخبرة المكتسبة تكمل ما في الكتب من نقائص . ويقول « ينبغي ان لا يكون الهدف من قراءة الكتب انكار ما بها او دحضه ، او اعتناقه واخذه قضية مسلمة ، وتصديقه تصديقا اعمى ، وانما ينبغي ان يكون الهدف التأمل ، ووزن الاشياء بميزان العقل والمنطق » .

أما الرحلة فقد اغرم بها فأصبح لا يقبل الصيف الا وتكون حقائبه معدة لرحلة في شرق الارض او غربها ، وهو حين يتحدث عن البلاد التي زارها يتحدث في حنان خافق وحب عجيب : نياجرا ، البندقية ، ملكة الادرياتيك ، بودابست ، الدانوب الازرق ، هونولولو ، كابري ، ستريزا في ايطاليا ، بروج في بلجيكا .

وله في ذلك كلام رائع « في المصايف سواء على الشواطىء او في مرتفعات الجبال ، ما يغذي النفوس والعقول ، ويهذب العواطف والاذواق ، ويسمو بالاذهان والاجسام ، يذكر كاتب هذه السطور في الالب والتيرول والبرنات ليالي قضاها في منزل صغير ، او خان على ارتفاع الفين او ثلاثة الاف متر ، هناك يحس بذلك الصمت الرائع الذي لا يسمع فيه سوى خرير المياه تتخلل البساط السندسي الذي يكسو كل شبر من مرتفعات الارض ومنخفضاتها ، وانسياب ماء النهيرات ومساقط المياه المتدفقة من قمم الجبال الشاهقة ، الى بطون الوديان ، واذا ما طلع النهار تخلل هذا السكون العميق جلجلة الاجراس المدلاة من رقاب البقر بانغامها الشجية المنوعة وهي ترعى بين الرياض والادغال » .

وهو يستعرض في كثير من كتاباته صور رحلاته التي مرت ، ولكنه لم يترك لنا صورا نفسية حية عن تلك الرحلات ولا رؤياه في البواخر والمدن والفنادق والجامعات والقرى التي زارها الا تلك الكلمات السريعة ، ولقد كان ممكنا لو انه كتب في هذا بعض الصفحات ان تضاف الى «ادب الرحلات» الذي كتب فيه كثيرون ، ولعل عذره انه لم يكن رحالة ليكتب ولكنه رحالة للمتاع النفسي الخالص .

وفي كلمات حاول مرة ان يصور المعالم البارزة في المدن التي زارها فقال : « طوكيو عاصمة اليابان التي سبقت كل من لندن ونيويورك في عدد سكانها ، وانتشرت في احيائها اكثر من مائة وخمسين كلية وجامعة ، ناطحات السحاب وعظمة برودواي والشارع الخامس وبارك افنيو وعجائب الصناعة ، النظام البالغ حد الاتقان في لندن ، جمال الطبيعة في لوسرن وزيورخ وجنيف ولوزان في سويسرا ، ولوفان في بلجيكا ، ولاهاي في هولندا ، اتساع الشوارع والميادين وكثرة الحدائق والمتنزهات في فيينا وبرلين ، باريس الفنون الجميلة ، والاشكال الخالدة في روما وفلورنسا والقاهرة وبومباي ، البندقية « فينيس » مدينة الجداول والخيال والاحلام ، كوبنهاجن المدينة المثالية تجمع : كل ما يشبع الابدان ويستهوي النفوس » .

وقد ذهب امير بقطر الى كل مكان ، حبا للرحلة والاستطلاع وعاش حياته بالعرض ، وأمضى ايام صيفه في تنقلات تجمع بين العلم والمتعة ، وزار فيما زار جزائر هاواي ، ولكن هل صورها على النحو الذي يكشف عن احساس النفس ، كلا بل واجهها على ذلك النحو العلمي ، فتحدث عن انها كانت وليدة جبال بركانية ظلت قرونا طويلة تقذف من افواهها الحمم ، وانها كانت خمسة عشر جبلا هي التي تمخضت فولدت عروس الباسفيكي . ولكنه لم ينس ان يقول « ان البواخر حين تقترب من ميناء هونولولو ، يشاهد المسافرون ، من مظاهر الجمال الطبيعي الخلاب ، وقمم الجبال الارجوانية ، وكأنها تسبح في قطرات الندى ، وفي منحدرات تخليط خضرة النخيل والاشجار الاستوائية وقصب السكر واعواد الحنطة ، ببياض سقوف المنازل وحمرتها وشتى الوان الزهور والاوراق التي تتخللها » .

وبعد فقد بقي ان تستخلص صورة الدكتور امير بقطر النفسية من خلال كلماته :

« ان اسهل الاشياء الوسط ، ولكنه اقلها انتاجا واسرعها زوالا ، واخفها اثرا في النفوس ، الجاه والشهرة سراب كاذب ينفخ صاحبه بنار الغرور ، ويملأ جوه بالغيرة والحسد والاحقاد ، والشهرة على حد قول من قال ، طعام شهي فوق طبق متحرك ، وهي والراحة ضدان قلما يجتمعان ، وما الصيت الذائع الا انفاس الناس ، والشهرة فقاقيع سرعان ما تذهب في الهواء والحصول عليها اسهل جدا من المحافظة عليها . السعادة راجعة الى الفضيلة ،

ثورة محب

ويح أيامي التي قضيتها
أو ليالي التي أحرقتها
هي في صفحة عمري لطخة

أسفح الدمع لأحظى بوصال
بأنيني ، وسجودي ، وابتهالي
من دم ، تطلب ريا بنصال

أنا ضيعت شبابي بيدي
وأراني الله نورا هاديا
أشعر اليوم بنقص قاتل
فاتركيني أكسر القيد لقد
لا أريد الحب .. عني ابتعدي
لم تعد بي لهفة مجنونة
ثاب رشدي ، صرت شيئا آخرا
ان مجدي في الثريا كامن
بي طموح واسع مثل الدنى
أبتغي شيئا عظيما رائعا

لا المقادير أرادت اغتيالي
فاضعت النور في درب الضلال
يعصر القلب ، ويلهو بالسؤال
ضاع عمري في متاهات الرمال
واحذري.. لا تركعي اليوم حيالي
ترتضي ذلي ، وتهريق جلالي
وتغيرت تماما كالليالي
ليس في الارض–هنا–بين الرجال
وغليل ليس يروى بالمحال
أبتغي كل الحجا ، كل الكمال

هكذا الحر أبي دائما
فاذا رمت العلايا صاحبي

يزدري الحب وأحلام الخيال
فاترك الحب لغر لا يبالي

ربة الأمس ، شتائي ممطر
كنت سجاني وسجني حقبة
فتمردت أخيرا فارقبي

وربيعي سيغني للجمال
أمضغ البذل وأحبو كالنمال
ثورة البركان يا رمز الخبال

الكويت — يحيى علي السناسيري

والفضيلة وسط بين طرفين او نقيضين ، فبين النقص والزيادة توجد الفضيلة ، وبين العنف والجبن توجد الشجاعة ، وبين الاسراف والبخل ، يوجد السخاء ،وبين الطمع والخضوع يوجد الاعتدال ، وبين الملق والاحتقار توجد الصداقة ، وبين الحياء والوقاحة توجد الحشمة . ان آلام الحياة واحزانها كالهوى داء تداوى به النفوس الصحاح وراحة البال الدائمة والاطمئنان المستمر وغيرهما من الاحلام والاوهام مخدرات تستهوي بها الاجسام العليلة والنفوس السقيمة » .

ومن آيات حكمه قوله « لتكن مطامحك ورغباتك في الحياة منتقاة ، مختارة بحكمة ، وتعقل ، فلا تكن خاليا ، بل اجعل هذه المطامح مطابقة لمقدرتك ، متفقة مع مواهبك، لتكن لك فلسفة واضحة في الحياة ، وثابر على تحقيق مبادئها ، ليكن شعارك الاعطاء اكثر من الاخذ ، اهتم بالغير اهتمامك بنفسك » .

ومن خلال كتابات الدكتور بقطر تحس بروح التفاؤل واستشعار السعادة وتجد الرجل في سن الستين يتحدث عن ما اسماه «ربيع الكهولة او ربيع الشيخوخة» وهو عنده أعظم من ربيع الشباب ، انه عنده اكثر نضارة ، وأزهى لونا ، واكثر عذوبة واعطر ارومة من الربيع الاول.

هكذا تصورت الدكتور امير بقطر ، وهو يودع دنياه، وتلك كلمات تغلب عليها التحية والتقدير لصاحب قلم عاش اكثر من ثلاثين عاما وهو يكتب ويقرأ ويسافر .

القاهرة — أنور الجندي



محمد سليم رشدان

في مسالك الدروب

بقلم محمد سليم رشدان
المحاضر في كلية الاداب بالجامعة الاردنية

* * *

ثم صمت البئر

كان حوارا جميلا بارعا .. ذاك الذي اجراه كاتبه بين بئر يقوم على شاطيء نهر ، وبين ذلك النهر ، الممعن في جريانه ، والمنطلق الى البعيد المجهول ..

ويقول البئر للنهر :

« انك ايها النهر الممعن في الجريان ، لا تصل الى ما انفرد فيه من مزايا ، فأنا منيع الجدار ، عميق الغور ، حصين الموقع ، صافي الماء بارده . اذا ما أهل الصيف ، يجد الظمآن عندي ما يطفيء غليله ويبرد ظمأه .. واما أنت ..

أما انت ايها النهر ، فما اكثر الوحول عند شاطئك ، وما اقبح ذلك الصوت الذي ينبعث من هدير التيار فيك ، ولطالما تكدر مياهك القوارب ، حين تمخر عبابك ، وهي تمضي هابطة مصعدة فوق صفحتك ..

وحين يقصدك الظمآن يلتمس عندك شربة ماء ، لا يملأ فمه منك غير هذا الماء العكر ، الذي لا يساغ له طعم ، ولا يجد فيه شاربه ما يجده من مذاق مائي العذب السلسبيل ..

قال البئر ذلك كله للنهر .. وظل النهر ينساب في وقاره وجبروته ، لا يلتفت الى ما يقوله البئر ، ولا يقيم له وزنا ، ولا يكترث به ايما اكتراث ..

والح البئر في تحديه .. واكثر من لجاجته ..

وكان صباح يوم غائم كثير المطر والعواصف ، وفاض النهر ، وطفحت امواجه المتلاطمة ، وطغت على ما يحيط به من عند شاطئيه ، وغمرت مكان البئر ، وملأته وحولا وطميا ..

وصمت البئر .. وكان صمته لا نطق بعده ابدا .. »

ذلك هو الحوار الجميل البارع .. الذي اجراه كاتبه بين بئر ونهر ..

وقد يكون في ذلك كله ، اراد ما هو أبعد من البئر والنهر ، وأعمق غورا .. واطول مدى ..

وما اردت ان اتحرى عما يريد .. وما اردت ان أبحث عن ذلك البعيد الذي يهدف اليه ..

ولكن الذي اردته : هو ان انقل اليك هذه الصورة الجميلة ، من الحوار البارع ، لترى كما رايت ، كيف استطاع الكاتب بأسلوبه الرشيق ، ان يصور لك مشاعره ، على نحو ما يصنع الشاعر ، وان كان هذا الذي يقوله ليس شعرا ..

قرابة .. الانسانية

كان يقف عند ناحية الشارع ، وفي وجهه من اللهفة ما لا حدود له ، وما ان ابصر شابين يقبلان عليه من بعيد ، حتى اعترض سيرهما ووقف لهما وسط الرصيف ، ليقول منفعلا مضطربا :

« اخي .. اخي الصغير بين الموت والحياة ، لفرط ما نزف من دمه ، بعد ان صدمته سيارة ، وهو بحاجة الى دم يسعفه ، ودمي ليس من فصيلة دمه .. فهل لكما ان تخفا لنجدته ؟! ..

هل لكما ان تفعلا ذلك ، عل احدكما يرد عنه الموت ، ويحفظ عليه حياته ؟ » .

قال ذلك بلهجة متعثرة ، وصوت يكاد يخنقه البكاء ، وانفعال شديد ، كاد يحول بينه وبين ان يفصح عما يريد .

وما ان تفهم الفتيان غرضه ، حتى استوقفا سيارة عابرة ، ودفعاه داخلها ، وهما يقولان : « هيا .. دلنا على المستشفى .. »

وانطلقت بهم السيارة جميعا ، واملهم ان يحملوا الى الطفل المسجى فوق سرير المستشفى ، عند نهاية الشارع ، جذوة الحياة ، وترياق الشفاء ..

ورايتني أشيع السيارة بنظرة اكبار وتقدير ، للشابين الماجدين ، الذين دفعتهما مشاعر الانسانية النبيلة ، الى ان يستجيبا لدعوة المستغيث ، وان كانا لا يعرفانه ، فحسبهما ان تربط بينهما وبينه اسباب المواطنة ، واخوة العروبة ، وقرابة الانسانية ..

بلى .. حسبهما ذلك ، فأية رابطة اوثق منه ؟!..

جئتـــك بالعنـــب

كان فتى ما يزال في مقتبل العمر لا اعرفه .. وقد دخل علي يحمل بين يديه رزمة اوراق وهو يزعم انه يعرفني مما اكتب ، وقد جاءني زائرا وطالب نصح فيما سيعرضه علي من انتاجه ، ودفع الي قصة قال انها ليست خير ما كتب ، ولكنها لون مفضل فيما كتب ، ورغب الي ان اقرأها لارى ان كانت صالحة للنشر ..

وتناولت القصة منه ، ثم اقبلت اقرأها بالعناية والاهتمام ، واذا هو يعرض فيها صورتين متنافرتين ابعد تنافر ..

اولاهما : صورة غني مترف ، يسكن في دارة جميلة فخمة ، تحيط بها حديقة واسعة الجنبات ، تمتلىء بالازهار والرياحين ، التي استوردوا له اشتالها وبذورها من اقطار مختلفة في اوروبا ، فاذا ما جلس أهله وابناؤه ، أو جلس ضيوفه الكثيرون فوق الشرفات الواسعة ، امتدت بين ايديهم هذه الحديقة بأزهارها وورودها ، تنفحهم بالاريج ، وتحمل اليهم نسائم الصباح والاصيل معطرة بشذى الورود .

وابناء هذا الغني المترف ، يمرحون في مسالك الحديقة الواسعة ، فوق العربات والدراجات ، ترعاهم مربيتان اجنبيتان ، ترطن اليهم كل واحدة بلسان يغاير لسان الاخرى ..

وضيوفه بين حين وحين ، تمتلىء بهم ابهاء الدارة الواسعة ، وقد حمل اليهم ــ مبالغة في اكرامهم ــ القرى والشراب والنقل والحلوى والزهور ، على طائرة خاصة من بلد بعيد ، ومعه النادل الماهر ، والفنانة المبدعة ..

والصورة الثانية : صورة خولي الحديقة ، الذي كان يسكن مع زوجته واطفاله خيمة بالية من اكياس الخيش ، تتوارى خلف سور الحديقة البعيد . فاذا ما أراد اطفاله ان يشاهدوا الدارة وبعض ما يجري في الحديقة الواسعة ، فوق العربات والدراجات ، ترعاهم وابصروا ذلك بجهد من خلال قضبان السياج الحديدي .

ويمرض واحد من اطفال الخولي ، ويشتد عليه المرض ، ويجلس والده مهموما فوق رأسه ذات مساء يمسح وجهه بيده ، ويمر بها على جبينه الملتهب ، وهو يميل عليه يقبله ويتودد اليه مؤاسيا فيقول : « كيف انت اليوم يا بني ؟ » ويتمتم الطفل الصغير بما يشبه الهذيان من الحمى :

« انني أبصرته فوق الشرفة يأكل عنبا .. ابصرت ابن معلمنا فوق دراجته يأكل عنبا .. اريد عنبا يا أبي .. »

وينظر الخولي في وجه زوجته .. اننا لسنا في موسم العنب .. وليس الوقت وقته .. ومن اين اجيء له به .. ولكنني سأحاول .. سأحاول غدا بعد ان اقبض مرتبي .. فقد أجده في المكان الذي وجده فيه معلمنا ..

ويمضي مع الغد الى مكتب الغني المترف .. ويشاء الحظ ان يدخل عليه حين جلس مع خازن امواله ، وهو يعرض بين يديه كشوف النفقات لاحدى ولائمه ، وقد تنوعت اشكالا ، واختلفت مبالغ .. وتعددت فيها المسميات .. وتزايد الرقم حتى اثار حنقه ، واضرم في نفسه الغيظ على الخازن ، كف غفل او تغافل حتى صعد الرقم الى مثل هذا القدر !!..

وتكلم الخولي وطلب نقودا. طلب مرتبه المتواضع ..

وصرخ في وجهه الغني المترف : « وانت ايضا تريد نقودا ؟! .. اذهب .. انصرف .. لا ترني وجهك .. كلكم تريدون دراهم .. أف .. !! » .

وأمسك الخازن بيده يخرجه ، وهو يهمس له : انه غضبان .. عد اليه في الاسبوع المقبل .

وعاد الخولي الى خيمته الملفقة من اكياس الخيش .. وترامى على الحشية البالية الى جانب طفله المريض ، وفتح الطفل عينيه وهو ما يزال في سكرات الحمى .. وقال له بصوته الواهن : « هل احضرت لي عنبا يا أبي؟»

وبسط الاب يديه معتذرا .. كانما عجز عن الكلام!

فقطب الصغير جبينه الملتهب ، وادار ظهره لابيه ..

ومع الصباح التالي ، افاق الخولي على نحيب مكتوم من زوجته .. لقد مات الطفل الصغير .. وحمله الى مثواه .. وفي فؤاده ما يشبه لذع الجمر ..!

وبعد اسبوع اخذ مرتبه .. ومضى يبحث عن العنب فوجده .. وحمله في كيس صغير .. ومضى الى الضريح الذي اودع فيه طفله .. واكب عند راسه يبكي وهو ينادي : «لقد جئتك بالعنب يا ولدي ..! »

وهنا لم اتمالك ان ارفع رأسي عن القصة ، وانا اكفكف دمعة ، وفي وجهي من التأثر ما لم استطع كتمانه!

فقال لي الفتى : «ان القصة اعجبتك على ما أرى .. أتراك تنصحني بنشرها ؟ » .

فقلت وانا احاول ان اكتم مشاعري : « انني لا انصحك بنشرها .. »

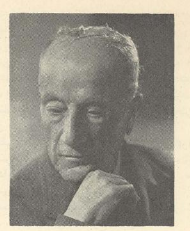
فأدهشه ذلك ، وكأني به لم يكن يتوقعه بعد الذي رآه من تأثري ، فقال متسائلا : « ولماذا لا تنصحني بنشرها ؟! » .

فقلت : لماذا .. لانك تعرض فيها صورة موجعة .. نعم صورة موجعة للغاية ..! وقد علمنا اشياخنا ــ يا صاحبي ــ ان نكتب ادبا ممتعا .. وانت جاوزت هذا المدى .. وتخطيت حدوده .. وذلك ما لا اشايعك به .. فلا تحرجني ..!!

وحمل الفتى رزمة اوراقه ، ومضى منصرفا ، وفي ملامح وجهه ما لا يشعر بالرضى ، وقد خيل الي انه قطب جبينه ، فذكرني بالطفل المريض حين قطب جبينه ، فاذا هو يشجيني .. واذا هو .. يؤسيني !! ..

عمان ــ الاردن

محمد سليم رشدان



حبيب الخوري



بقلم حبيب الخوري

* * *

ليس ثمة من ريب في ان لغة كل قوم هي العروة الوثقى والدعامة الكبرى لشخصيتها القومية . ومن اجل ذلك تنافست الاقوام ، ولا سيما اولو الامر منهم ، في سبيل اعلاء منارها ، والتنقل بها من طور خير الى ما هو خير منه . ذلك لان اللغة لدى التحقيق ليست سوى مرآة لاحوال امتها ومستودع لعلومها ، وعنوان لحضارتها ، ومدعاة فعالة لوحدتها . بل ان التاريخ يعلمنا ان اعقل الشعوب وادهى الفاتحين حاولوا دائما ان يفتحوا العقول والقلوب ، بمفاتيح لغاتهم قبل فتحهم للبلدان والامصار بالحديد والنار .

فهذا الاسكندر المكدوني كان وهو يدوخ البلدان والاقاليم يفتح العقول والقلوب بلغة قومه الاغريقية العظيمة بعلومها وادابها وفلسفاتها وقد روج لها حيثما احتل ترويجا منقطع النظير.وليس تشييده للمدن العشر ـ وهذا مثل من امثال عدة ـ في ديارنا مثل فيلادلفيا ، عمان ، جدرا ، ام قيس ، الى اخر العشر ، سوى دليل من جمهرة الادلة على ما أخذ به النفس من الترويج والدعاية للغته القومية .

وهذه امتنا العربية التي يوجد بين لغتها وبين اللغة اليونانية قاسم مشترك مرموق ، قامت بفتوح اذهلت العالم والتاريخ ، مما حمل العلامة الشيخ عبدالقادر المغربي عضو المجمع العلمي في دمشق على الجهر بأن الفضل في تلك الفتوح يعود معظمه الى اللغة العربية التي فتحت معاقل العقول والقلوب قبل معاقل الديار والامصار ، وبانها شادت امبراطورية من اعظم امبراطوريات التاريخ .

وهذا صلاح‌الدين ، لا تزال عبارته المشهورة التي فاه بها على كبار قواده وقد اخذتهم نشوة الانتصارات الرائعة يتردد صداها بين ثنايا العصور : لا تظنن البتة ان سيوفكم هي التي اوقفتنا من تلكم الانتصارات ذلك الموقف الفذ المشرف ، انما الفضل فيها يعود بالاكثر الى ادب القاضي الفاضل وهو أمين سر صلاح‌الدين وأحد أعاظم كتاب العصر العباسي الاربعة ـ والى اداب لغته وعلومها .

ونحن نرى اليوم امتنا تبذل اقصى الجهود توسيعا لنطاق لغتها في داخل اقطارها الثلاثة عشر وفي خارجها وسيكون لنشر لغتها في خارج اقطارها شأن رفيع في عاجل الزمن او اجله باذن الله .

وهذا هو الغرب يتناهى في جهاده اللغوي ليضم المئات من الناس ـ ولست اقول الملايين ، لان عهد الملايين وتصيدها للغاته قد ولى الى غير رجعة ـ فوق الملايين التي تتحدث بلغاته عموما ، وبالانكليزية والافرنسية خصوصا في طلاقة وأحكام كما تبدى لنا في مؤتمر القمة الافريقي الذي التأم في القاهرة منذ عهد غير بعيد .

وغني عن البيان انه منذ ان عرف أمر اللغة السنسكريتية في القرن التاسع عشر وحلت بقية رموزها وهي لغة الهند القومية التي نقل عنها علامتنا الكبير وفيلسوفنا «البيروني» وكان قد اقام فيها اربعين سنة ، هب اعلام البحث والتنقيب في العالم المتمدين يولون علم اللغة ـ عناياتهم الكبرى ـ وقد بلغوا شأوا رائعا من التقدم ولا سيما في اخريات القرن التاسع عشر حينما اخذ كبار العلماء اللغويين في اخضاع البحوث اللغوية الى مناهج البحوث العلمية وتوجيهها الى الاهداف التي ترمي اليها العلوم ، بل وفي جعل الغاية الاساسية من بحوثهم التوصل الى كشف القوانين التي تخضع لها الظواهر اللغوية والى تنقية هذه الظواهر من العناصر الفلسفية القديمة المتأثرة بالميتافيزكية وبفضل تلك الجهود الجبارة التي قام بها علماء اللغة العالميون اتضحت معالم الحدود والمناهج لكل فرع من فروع علم اللغة الذي يسيطر عليه ويتملكه القانون العلمي .

هذا ومن اكبر بواعث الاستبشار والمسرة ان قام بيننا بضعة من علماء اعلام قطعوا مرحلة توشك ان توضع بواسطتهم علوم لغتنا في محنها ويسار بها كما يسير باقي علماء اللغة في العالم أجمع . فلنرتقب تطورات خطيرة ومفاجآت سعيدة للغتنا العظيمة تنقلها من عظمة الى عظمة .

ولما كان ذلك القانون الخالد ، الا وهو قانون التغيير والتحول الخاضع له الكون بأسره لا عصمة لنا منه ولا منجى وكانت كل لغة خاضعة للقوانين العلمية دون ريب ، وكانت طائفة مباركة من علمائنا اللغويين الجهابذة قد بلغت شأوا خطيرا في سبيل اخضاع كل ظاهرة من ظواهر لساننا العربي الى ظواهر علمية واجتماعية ونفسانية . الخ ـ لما كان كل ذلك ـ تحتم علينا ان نسير مع ركب العلم والحضارة في جميع عوالمنا اللغوية سيرا حثيثا لا يعرف معنى لاية هوادة وتؤدة وان نقف بجانب لغتنا ذابين عن حياضها وان نتناهى في سبيل جعلها تنعم بنهضة حقة من شتى نواحيها . فتمرع وتزدهر وتصبح في القريب العاجل او الاجل ـ لغة حية عالمية ـ وهذا الالتزام للنهوض بها يتأتى لنا من ناحيتين خطيرتين :

الاولى : ـ ان نشد ازرها وهي تصطرع مع عشرات من اللغات التي تريها في كل يوم ضربا من ضروب التحدي ولونا من الوان المنافسة منذ قديم الزمان وفي حديثه سواء في ذلك اللغات السامية واللغات الارية ومن بواعث الغبطة انها صمدت لذلك الصراع المرير وانجلت مغالباتها لتلكم اللغات عن نصر كلي في معظم الميادين وجزئي في بعضها وهو يحمل في برديه الجديد من معاني التشجيع والارتقاب . ولنا في هذا النصر دليل قاطع على قوة هذه اللغة وحيويتها في ذاتها دون ان يكون للدولة يد فيه وانما وقع برغبة شعبية من جهة ، وبطبيعتها الغريزية وما لها من خصائص رائعة سايرتها عبر الاجيال ومقدرتها في استيعاب كل معطيات الفكر الانساني والحضارة الانسانية من جهة أخرى ، وغير خفي ان هذه اللغة لم تكن لتبقى هذا البقاء الخالد الشبيه بالمعجزة لولا فضل الله عليها بكتابها العربي العظيم الذي هيمن عليها وسيظل مهيمنا ما نعمت العروبة والعربية بما كتب لهما معا من خلود عبر القرون والاجيال .

اما الناحية الثانية لشد أزر هذه اللغة والوقوف بجانبها فليس لدي قول يعبر عما يتملك القلب من عواطف والعقل من افكار . مما لم يكن بوسعي الا ان اكتسبه من الايام والسنين في كرها الطويل ، خير مما جاهرت به لمناسبات عدة جملة وتفصيلا ، وهو قول ليس في المقدور الان ان اتناوله في تحليل وتفصيل وافيين . على ان ذلك لا يمنعني من ان افرغ صفوته في عبارة واحدة او قولة خطيرة :

وهي ان مستقبل اللغة العربية يتوقف على الفكر الخلاق المبدع الكائن في مجموع الشعوب التي تتكلم العربية .

فان كان ذلك الفكر موجودا كان مستقبلا عظيما . وبحمد الله الفكر العربي في يقظة وابداع ، على وزاراتنا التربوية ومجامعنا العلمية ومؤسساتنا العليا والدنيا والوسطى ، ان تسير في هذه اليقظة وذلك الابداع الى النهاية ، وهذا ما نرتقبه باذن الله .

« ـ في ما يعتور متون العربية من ماخذ يقف حائلا بينها وبين صيرورتها لغة حية عالمية » .

اذا القينا نظرة صادقة على متون اللغة ومعاجمها واعملنا الفكر في التناسب القائم بين اصولها وفروعها وفي الانسجام بين الالفاظ والمعاني وفي الصلة بين المعاني الحقيقية والمجازية تملكنا الايقان من ان الذين تواضعوا عليها في الاصل من قدامى علمائنا اللغويين الائمة كانت اوضاعهم قويمة لم تشذ ولم تند عن القياس في شيء .

غير ان الشذوذ تطرق اليها من جراء تفرق القبائل ومخالطة الاعاجم ومن جراء ما انزله البصريون والكوفيون بفضل جدالاتهم ونزاعاتهم اللغوية وقد كادت تلك المجادلات ان لا تنجلي عن شيء ذي جداء وغناء اللهم الا عن بضع ويلات انزلوها بها . ومن جراء توسع المئات من الشعراء في نطاق تجوزاتهم الشعرية قرونا طوالا .

ليت شعري ما الجدوى التي جنيناها مما نراه في ـ الصبان ـ وقد كان مع ـ الخضري ـ وسواهما من المجلدات الضخمة المكدسة على قماطرنا مرجعا يوميا فوق الالفيتين لابن مالك واليازجي وشروحهما وشواهدهما .

لقد افدنا من تحليل الشواهد واستظهارها اكثر جدا من دراسة القواعد . اجل ما الفائدة من عشرات الوجوه في الصبان لاعراب الصفة المشبهة ومن بضع العشرات من مسوغات الابتداء بالنكرة ومما نجده في ـ المغني ـ من تضارب اراء النحاة البصريين والكوفيين في اعراب ـ كانك بالشتاء مقبل وكانك بالدنيا لم تكن ، وانا انت الفاربي انت انا ـ . ان تلك المناقشات وما لابسها من تخريجات وتاويلات ملات بطون الصحف في المجلدات الضخام يقضى العمر بل نقضي نحن ولا نقضي منها وطرا في عصر الاذاعة اللاسلكية والتلفزة والطيران وارتياد الفضاء الخارجي وغزو عوالمه .

وفوق ذلك ان سر الوضع الذي انتهجه علماء اللغة الاقدمون قد ضاع وان شطرا من اللغة عجز عن حفظه الرواة ، فلم يكن في مقدور اصحاب المعاجم ان يدونوه فيها . فلا عبرة بما نراه من طوارئ الشذوذ في الكتب اللغوية والنحوية ، فاللغة في الاصل قياسية بلا نزاع .

وثمة شيء اخر عن اللغة نتناوله بالبحث والتمحيص ، وتعتبره طائفة من علماء العصر اللغويين من الجمالات والمفاخر في حين تعتبره طائفة اخرى ذاما وعيبا اخراجه من المتون خير من ابقائه نريد به ـ الترادف ـ والاشتراك ـ والفروق .

ولست املك النفس عن الاخذ بالوجه الثاني ، اذا آربت كل من الالفاظ المترادفة والمشتركة والفروق على العشرة فالترادف فيه طائفة غير قليلة من الالفاظ تتراوح اسماء المعنى الواحد فيها بين العشرة والاربعمئة ، فمثلا العسل له عشرة اسماء والسيف خمسون ونيف والحية مئتان ، والمصيبة ـ اربعمئة .. الخ . ومصيبتنا في مترادفاتها اشد نكاية من همزتها في جمع التكسير .

لست ادري وايم الحق ، ما الفائدة من الحفاظ عليها وادخارها في متوننا ومعاجمنا وسوادها الاعظم مهجور وما الجدوى من التكثر من استعمالها من قبل طائفة من كتابنا وادبائنا .

لا مراء في ان الترادف قد ينفع عند نظم القصائد التاريخية الطويلة او الملاحم ، مثل الشاهنامة والاليادة وينفع ايضا اذا قام بين الالفاظ المترادفة تباين في الجلاء والغموض . فاذا كانت اللفظة الاولى غامضة كان من المستحب ان تردف بلفظة ثانية فتقضي على ابهام الاولى . وعلى كل حال فواجبنا ان نختصر الاربعمئة والمئتين والمئة الى اخره الى عشرة فقط مما هو معروف ومأنوس . اما المتحذلقون فاذا عز عليهم ذلك فلتهناهم الاربعمئة واخواتها ولينعموا بها .

واما الاشتراك : فهو ان يكون للفظة اكثر من معنى واحد كالعين مثلا فان معانيها الكثيرة الجاسوس والربيئة ـ الذي يرقب القوم ـ والذهب والدينار والشمس وشعاعها .. الخ . ان معظم الالفاظ في اللغة لا تسلم من الاشتراك لانه قلما نرى اسما او فعلا لا يدل على معنيين .

ولقد كان الخلط بلاء كثر في المصادر الثلاثية والجموع المكسرة . والمصادر كثيرة التصاريف وامثلتها مختلفة وقياسها غامض فلم يسع أهل اللغة الا ان يقولوا انها تاتي على غير قياس وهي في الحقيقة لم تكن بلا قياس . وليس بخاف ان الشعراء لعبوا دورا غير قليل في هذا الخلط ، دع عنك تفرق القبائل ومخالطة الاعاجم . اننا نخشى اللبس والتعقيد اذا دلت اللفظة على معان كثيرة كالعين والخال والعجوز .. الخ، فان لكل منها من المعاني ما يربو على الثلاثين .

ولقد كان شعراء عصر الانحطاط ولا سيما في اخرياته يبذلون أقصى الجهود في نظم القصائد التي قوافيها موحدة اللفظة مختلفة المعاني مثل الخاليات وسواها . وعهدنا بآخر خالية غير بعيد . فقد قالها بطرس كرامة احد الادباء اللبنانيين وامين سر الامير بشير الشهابي وافرغها في سبعة وثلاثين بيتا واليك مطلعها :

أمن خدها الوردي افتنك الخال ... فسح من الاجفان مدمعك الخال

ولهذه الخالية قصة طريفة مع علماء العراق لا محل لذكرها هنا .

اما الفروق : فلا شيء ادل منها على سعة اللغة . ولكي اجلو ذلك اقدم قلا من كثر من الامثلة .ولقد سموا طعام العرس ـ الوليمة ـ والماتم «الوضيعة» والولادة ـ الخرس ـ والختان ـ الاعذار ـ والقدوم من سفر «النقيعة» والمأدبة والمدعاة لطعام أي وقت . وقد قيل : يده من اللحم ـ غمرة ـ ومن الشحم ـ وهمة ـ ومن السمك ـ ضمرة ـ ومن الزيت ـ قنمة ـ او ـ وضئة ـ ومن البيض ـ زهكة ـ ومن الدهن ـ زنخة ـ ومن الخل ـ خمطة ـ ومن العسل ـ لزجة ـ ومن الفاكهة ـ لزقة ـ ومن الدم ـ ضرجة ـ ومن الطين ـ ردغة ـ ومن الحديد ـ سهكة ـ ومن العذرة ـ طفسة ـ ومن البول ـ وشلة ـ ومن الوسخ ـ روتة ـ ومن اللبن ـ وضرة ـ ومن العجين ـ لوثة ـ ومن الجبن ـ نسمة ـ ومن النقس ـ طرسة ـ ومن الدقيق ـ نثرة ـ ومن السويق والبرز ـ رضفة ـ ومن الفرصاد ـ قنئة ـ ومن البطيخ ـ نضجة ـ ومن الذهب والفضة ـ قشمة ـ ومن الكافور ـ سطعة ـ ومن التراب ـ تربة ـ ومن الرماد ـ رمدة ـ ومن الخبز ـ خبزة ـ ومن المسك ـ دفرة ـ ومن غيره من الطيب ـ عطرة ـ او ـ عبقة ـ ومن الروائح الطيبة ـ ارجة ـ

.. فتامل . وهذا نزر يسير من امثلة الفروق واذا رغبنا في الوقوف عليها كلها وقوفا مفصلا فعلينا بكتاب الغريب المصنف لابي عبيد والجمهرة لابن دريد وفقه اللغة للثعالبي وكتاب الفروق لابي الطيب اللغوي .. الـخ .

وهذا يدل على غزارة المادة وبديع البيان اللذين تحلى بهما علماؤنا الاقدمون ولو وجدوا في عصرنا عصر الرؤى التي غيرت كل شيء حتى الافكار والعقول لما وقفوا تجاه لغتنا موقف الجامد المتحير .ولغتنا هي من أعظم نواحي تراثنا القومي . فهل يزكو بنا ان لا نقف بجانبها وهي تغذ السير في النهوض وصيرورتها لغة حية عالمية .

وانئا نرجىء التوسع في بحث هذه المآخذ على متون اللغة ولا سيما معاجمها وعرض طرق الاصلاح التي تضمن لها التقاء من كل الادران ولا يعود يصح فيها القول المأثور : وقد لا تعدم الحسناء ذاما .

ـ معجمات اللغة العربية ومتونها ـ طائفة من المآخذ عليهـــا ـ طائفة من طرق اصلاحها .

لا معدى لنا عن الاشارة العابرة الى امور ثلاثة تلابـــس هذا العنصر الاول من الموضوع الذي نحن اخذون النفس بمعالجته وتحليله في شيء من التفصيل : أ ـ علم اللغة ، ب ـ مصادر المعاجم، ج ـ تاريخ المعاجم.

ان علم اللغة عند القدامى من علمائنا اللغويين هو الاشتغـــال والبحث في الفاظ اللغة من ناحية اصولها واشتقاقها ومعانيها . وعند المحدثين من علماء اللغة في العالم اليوم ، هو الاشتغال بحياة اللغة ـ من أهم نقاط هذا الاشتغال واشملها بحث اللهجات ودرس الاصوات التـــي تتركـــب منهـــا الكلمـــات . ويبحث من حيث كونها اداة للتعبير عن الفكر ، ومن حيث الاصول التي انبثقت منها كلمات اللغة . وهـــذه النقطة من ابرز علائم النقص القائم في معاجمنـــا العربية . اضف الى ذلك الاشتغال باظهار الرابطة بين الظواهـــر اللغوية ، والظواهـــر الاجتماعية والظواهر النفسانية من تفكير وتخيل وتذكر وحفظ الخ .. ولقد ادى هذا الاشتغال والبحث بالطبع الى جمع الحقائق اللغويـــة وتدوينها في رسائل واسفار مستقلة سميت بالمعاجم وهي شقـــان : معاجم لفظية ومعاجم معنوية . .

بيس بخاف ان هذه المعجمات نعمت بحظ وافر من النضـــج فـــي العصر العباسي الثالث . على ان نواتها الاساسية قد تم ارساؤها في العصر العباسي الاول ، بعد شيء من التمهيد لها في العصر الاموي . ومن ثماخذت سنة التطور تلعب دورها الخطير في ما جاء بعد ذلك من عصور حتى القرن التاسع عشر ، بل القرن العشرين.وهب البستانيان العظيمان المعلم بطرس والشيخ عبدالله ، ووضعا معجميهمـــا محيـــط المحيط سنة ١٨٦٩ والبستان سنة ١٩٣٠ ولقد كاد استعمالهما في الشرق العربي يكون اوسع نطاقا واكثر شمولا من سائر المعاجم العربية قديمها وحديثها بفضل وفرة في السهولة ودقة في التنسيق وجراة في التنقية وبراعة في الاختيار .

مصادر المعاجم : ولقد تم تمهيد الطريق لهذه المعاجم بادىء ذي بدء ، بما وضعه علماء اللغة من الكتب في الفاظ الموضوعات الخاصة فجاء ذكر بعضها في كتب الاصمعي وابي عبيدة وابن زيد الانصـــاري وغيرها من كتب اللغة والادب ، مثل كتاب ـ الخيل واسماء الوحوش ـ وكتب ـ الشاء ـ وخلق الانسان ـ الخ الخ . وربما كان في وسعنـــا ان نحصر ما تواضع عليه لغويونـــا الجهابذة مـــن رسائل وكتـــب فـــي اقســـام ثلاثـــة :

أ ـ معاجم يراد بها تفسير معاني الكلمات المفردة وافراغها فـــي قوالب من ترتيبات خاصة ككتاب العين للخليل المتوفي سنة ١٨٠ هـ او محيط المحيط للبستاني سنة ١٨٦٩ م ، وما بينهما من معجمات يربـــو عددها على الثلاثين ويقال لها المعاجم اللفظية .

ب ـ معاجم يراد بها بيان الكلمات المفردة التي تم وضعها للمعاني على اختلاف انواعها وأصنافها ، فجاءت مرتبة على الاسلوب الاتـــي : خلق الانسان ، الحمل والولادة ، الرضاع والفطام ، الفذاء الســـيء للولد ، اسنان الولد ، شخص الانسان وقامته الخ ..

ج ـ معاجم افرغت في قوالب المأريح ورسائل في مجموعـــات خاصة من الالفاظ والمعاني ككتاب ابي حنيفة في الانـــواء والثبـــات ، والاصمعي في السلاح والابل والخيل ، وكتاب زيد في الغرائز والجرائم وكتاب نجعة الرائد في المترادف والمتوارد لابراهيم اليازجي .

ولقد كان لهذا النوع الثالث من المعجمات السبق في الزمن على قسيمية الاخرين . وخدمة للحقيقة لا بد من القول : ان النوع الاول من هذه المعاجم قليل الجدوى للمشتغل العصري بعلم اللغة الحديث ، ذلك لان واضعيه انما عنوا بمعاني الالفاظ دون الالتفات الى تقصي معانـــي كل كلمة في مراحل حياتها ، وتحليل تطوراتها في مختلف العصور ، وبيان الاصول التي اخذت عنها وما الى ذلك ، مما يحرص عليه جـــد الحرص الاخذون انفسهم بالتنقيب في علم اللغة الحديث ، ولا سيما في علم المفردات واصول الكلمات ـ وهذا المذهب الجديد يشغل الحيز الاكبر في معجم من المعجمات الافرنجية الحديثة . ومن خيرة ما وضـــع في معجمات النوع الثالث اسفار ثلاثة هي : كتاب الالفاظ للعلامة ابن السكيت، وفقه اللغة للثعالبي ، والمخصص لابن سيده في ستة عشر جزءا وهو اعمقها بحثا وادقها تنظيما واشدها استيعابا لمسائل البحث.

تاريخ المعاجم : ان الامة التي سبقت في وضع المعاجم اللغوية هي «الصين» فقد وضعت معجما يحوي اربعين الف كلمة في القرن الحادي عشر ق.م. وان اقدم معجم لغوي في اللغة اللاتينية الف سنة ٢٨ ق.م وقد كتب معجم اللغة اليونانية سنة ١٧٧ م. ثم يأتي بعدهم العرب وهم اسبق الامم الحديثة الى وضع المعاجم اللغوية .

ان أول معجم ترتبت فيه الفاظ اللغة العربية على حروف الهجاء ، هو كتاب العين للخليل المتوفي سنة ١٨٠ هـ . وقد رتبت فيه الحروف حسب مخارجها من الحلق واللسان والاسنان والشفتين . وكان المؤلف اقتفى اثر اللغة السنسكريتية ـ الهندية القديمة ـ التي كانت تبتدىء بأحرف الحلق وتنتهي بأحرف الشفتين . ومن بحوث كتاب العين احصاء الفاظ اللغة في أيام واضعه ، فقد نقل عنه السيوطي انه احصي فيه عدد ابنية كلام العرب المستعمل والمهمل فبلغ ٢٢٠٢٠٥٠٤١٢ كلمة .

ولعله اراد ما يمكن تكوينه بتركيب احرف الهجاء على كل شكـــل من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي .

وقد اختصر الزبيدي كتاب العين وجعل عـــدد الالفاظ العربيـــة ٦٦٩٩٤٠٠ لا يستعمل منها في وقته الا ٥٠٥٦٠ والباقي مهمل .ومن أرقام الزبيدي هذه يبدو لنا ان فيه اختلالا بعض الشيء ، اذ لا يعقل ان يكون المستعمل من اللغة العربية نحو خمسة الاف لفظة ، في حيـــن ان المعروف ان القاموس المحيط يحتوي على ستين الف مادة ، وفي كل مادة من الافعال المزيدة والاسماء المشتقة نحو عشرين لفظه . ولم يصل الينا من كتاب العين الا قطع قليلة والا ما نقل عنه في كتـــب اللغـــة كالمزهر للسيوطي والكتاب لسيبويه . على ان الباحثين الثقات مختلفون في نسبته اليه وفي صحة ما ورد فيه من الروايات والاقوال . بل اطبق الجمهور من أهل اللغة على القدح فيه . وانكر بعضهم كونه من تاليـــف الخليل ونسبوه الى الليث بن نصر الخراساني ، لما فيه من الخلط .

وذكر السيوطي ـ وهو من اكابر علماء اللغة ـ في كتاب المزهر ، اراء القوم في أصله وحجج القادحين فيه ، ولكنه ذكر ان الغالـــب في سبب تلك الحملة على الخليل ، انهم حسدوه لتميزه عـــن سائـــر العلماء اللغويين بأن سبقهم اليه ، وكل سباق محسود . اذ لا خـــلاف في فضله على الاطلاق ، وهب انه لم يتم الكتاب في حياتـــه ، فلـــه الفضل في تبويبه والشروع فيه ، وعلى الجملة فان كتاب العين تحفة من تحف اللغة ، وللخليل فضل كبير في وضعه ، ومن أشد المؤسفات انه ضاع حوالي القرن الرابع عشر الهجري ، وليس من المستبعد ان يعثر عليه الباحثون في المكتبات الخاصة .

ويأتي بعد كتاب العين مباشرة الجمهرة لابن دريد سنة ٢٢٣ ـ ٣٢١ هـ ، وهي أهم مؤلفاته وقد الف هذا المعجم لابنى ميكال العارسيين، وهما على عمالة فارس . فقلداه الديوان وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ، ولا ينفذ امر الا بتوقيعه . ولقد كان من علماء اللغة الاعـــلام مقدما في الشعر وله المقصورة ـ ٢٢٩ بيتا ـ التي طار صيتها فـــي الافاق وترجمت الى عدة لغات من بينها اللاتينية . ولها شروح كثيـــرة ونسخ خطية في مكاتب الغرب .

وهنا استطرد لاقول : ان استاذي النابغة نخلة زريق ، خصني بالقاء ابياتها الحكمية الكثيرة في أول سنة لـــي في كليـــة الشبـــان

شادية

غنيت لي أنت ؟ أم غنى لـي الوتر ؟ … وغـرد الصاد حـان الطير والنهر ؟

أمـواج لحنك ينزو القلب من طرب … أيـان تهفو ، ويندى بالهوى الحجر

قد كان يكفي من البدر المضيء سنا … واروعتـاه ، أحقـا قد شدا القمر ؟

وكان يكفـي من الورد الرقيق شذى … عجبت انـى بدا في عطفـه الثمر ؟

غنيت لي،يا عذارى الشعر ما برحت … شبابتـي ملؤهـا الالحـان تزدهـر

أرعشت بالنغـم المخضـل أفئـدة … لولاك ما شاقهـا حسـن ولا زهر !

الرياض

حسن عبدالله القرشي

الاعدادية بالقدس ـ الكلية الانكليزية بعد قليل ـ في حفلتها السنوية . هذا وان اكثر كتب ابن دريد هي في اللغة ، ولذا وضع في مصـاف علمائنا اللغويين الاعلام ، حتى انهم قالوا : ان ابن دريد قام فيهـا مقام الخليل، وأورد اشياء فيها لم يكن لها من وجود في كتب المتقدمين.

وفي القرن الرابع هـ ، وضع القالي البغدادي معجمه البـارع والازهـري تهذيب اللغة ، والصاحب المحيط ، فـي سبعة مجلـدات والجوهري الصحاح ، وهو حسن الترتيب سهل المأخذ صحيح الرواية. وابن فارس المجمل، وقد رضي عنه العلماء اللغويـون الجهابـذة ، وامتدحوا الاجادة الرائعة في وضعه . وفي القرن الخامس وضع الثباني القرطبي معجمه الموعب وهو والبارع من اضبط المعاجم واصدقها رواية، وابن سيدة الاندلسي المحكم في عشرين مجلدا ، وهو من أجمع المعجمات بالثقة والاعتبار . وفي القرن السادس وضع الزمخشري اساس البلاغة، ومن خصائصه الممتازة انه اورد كل مادة بمعانيها الحقيقية ، فاذا انتهى منها انتقل الى المجاز فقدم بذلك خدمة رائعة للذين جاءوا من بعده ، لم يقدمها احد قبله من العلمـاء .

وفي القرن الثامن هـ الف ابن منظور لسان العرب وهو أعظم كتاب وضع في اللغة ، يقع في ثمانية وعشرين مجلدا فيها نحو من ثمانيـن الف مادة . وفيه لغة وفقه ، ونحو وصرف وشرح للحديث ، وتفسير للقرآن . وقد جمع فيه بين تهذيب الازهري ومحكم ابن سيدة وصحاح الجوهري و حواشي ابن بري ونهاية ابن الاثير . وقد طبع في مصـر في القرن الماضي وفي بيروت هذا القرن .

وفي القرن التاسع هـ. وضع الفيروزبادي معجمه القاموس وهـو اشهر علماء اللغة في العصر المغولي خارج مصر والشام .اتصل بخدمة السلطان يزيد العثماني ونال مرتبة رفيعة ومالا طائلا ومن تيمورلنـك نال خمسمئة دينار ، وله مصنفات تربو على الاربعين ، والقاموس من أكثر المعاجم تداولا بين أيدي الكتاب ، وهو مرتب حسب اواخر الكلمة وقد طبع في كلكتا ، وطبع في مصر مرارا ، ثم في لكناو وبومباي ، والاستانة . ونقل الى الفارسية وسمي القابوس وعليه شروح كثيـرة أشهرها تاج العروس وانتقدته طائفة كبيرة من اللغويين المدققين ، من بينهم احمد فارس الشدياق في الجاسوس على القاموس ، وكل ذلك يدل على أهمية القاموس في نظر العلمـاء .

على ان الفيروزبادي وان كان أخطأ في مواضيع تعقبها اللغويون ، له حسنة كبرى تشفع فيه هي : ضبطه للالفاظ بالمثل لا بالشكل . وفي ذلك خدمة جلى للغة والمشتغلين بها .

وفي القرن الحادي عشر هـ شرح الشريف المرتضى الحسينـي القاموس شرحا اضافيا وسماه تاج العروس وهو في طليعة المعاجـم الكبرى ، وهو مع لسان العرب اكبر مرجعين لغويين .

وفي القرن التاسع عشر ، وضع المعلم بطرس البستاني معجمه محيط المحيط وهو يحتوي على ما في محيط الفيروزبادي الذي هو في اعتقاد البستاني أشهر قاموس للعربية ، بما حوى من مفردات ، وما لا بد منه لكل مطالع من اصطلاحات العلوم والفنون . وقد جعل في اخره فهرسا ادرج فيه اسماء ما اشتهر من الاماكن والاشخاص والقبائـل ، ولا سيما ما ورد من ذلك في التصانيف العربية ورتبه على وجه سهـل المراس على العامة ، فضلا عن الخاصة . وقد اضاف الـى اصـول الاركان فروعا كثيرة .

وكان له من صفاء الرؤيا واصالة الرأي والشجاعة الادبية ، ان ادخل لاول مرة في كتابة المعاجم الشيء الكثير من كلام المولدين فـي الحرم المعجمي،كأن في ذلك تنبؤا عما قامت به مجامعنا العلميةواللغوية فيما بعد من تشجيع للكتاب والشعراء على استعمال المولد وعلىالذهاب الى الانتفاع بالقياس والاشتقاق والمجاز والتعريب ، لسد حاجاتنـا اللغوية العصرية ، وهي لا يأخذها عد ولا احصاء . ولهذا اصبح هـذا المعجم قيد الاوابد ومحط الشوارد . واستحق ان يسمى محيط المحيط لانه قد جمع ما ذهب في كتب اللغة من شماطيط ـ على حد قوله ـ ولقد كابد في التنسيق والتنظيم المشاق والعظام التي هان عليه خطها في سبيل الوطن ، ولذا كانت اخر كلمة خطها في معجمه :

فيا وطني ان فاتني منك سابق … من الدهر فلينعم لساكنك البال

وجدير بالذكر كل الذكر ، ان واضع هذا المعجم الممتاز في جزئيه الفخمين قد وضع دائرة المعارف في اثني عشر جزءا وهي اول موسوعة عربية في اوائل نهضتنا . ووضع كتاب كشف الحجاب وهو مطول فـي الحساب وممتاز في مصطلحاته الصحيحة ومفتاح المصباح في الصرف والنحو الخ الخ ..ولم يشا طيلة حياته ان يلقب نفسه بواحد مـن القابنا العلمية الضخمة ، بل اكتفى بلقب المعلم وقد قفـى على اثـره تلميذه النابغة نخلة زريق صاحب الفضل على النهضة في فلسطين في مرحلتها الاولى ، بان اكتفى بذلك اللقب عينه . فليهنأهما هذا الاتضاع الذي هو في الحقيقة عين العظمة والارتفاع .

اريحا ـ الاردن

حبيب خوري

غـذاء الفـكـر

بقلـم لطفية الشهابـي

* * *

منذ أكثر من عام كتبـت مقالات في مجلة «الاديب» تحت عنوان «ماذا نقرأ..؟» ، وكان رأيي حينذاك أنه ليس من الضروري توجيه القراء توجيها قسريا نحو نوع معين من الكتب أو نموذج خاص من الافكار والاساليب ، بل يمكن أن نترك لهم الحرية ونبصرهم فقط بما يعود عليهم بالفائدة أكثر من غيره ، ونبين نوعية هذه الفائدة . اما الذين لا يقراون لهدف بسيط محدد فباستطاعتهم ان يتناولوا أي كتاب ، وليس باستطاعتهم وحسب بل ان ذلك واجب عليهم ، اذ أنه من مستلزمات حياتنا الفكرية ان نقرأ مـا يلـذ لنـا لنستمتع به وما لا يروقنا لنعلـم سبب عـدم استجابتنا له ، وهل هذا السبب نابع منا أم من الكتاب .

والان اريد ان اعرض أجوبة تدور في ذهني حـول اسئلة قصيرة كثيرا ما شغلتني وهي : كيف نقرأ .. ولماذا نقرأ .. ومتى نقرأ .. وان أتابع الكلام قبل ذلك كله حول الاجابة عن : ماذا نقرأ ؟

ولمواصلة الاجابة عن هذا السؤال الاخير أذكر كيف ان القارىء في بعض الاحيان يرغب عن نـوع مـن الكتب لسبب يكاد يجهله ، ثم اذا ما أجبر نفسه على قراءته تبين له خطل حسه الداخلي السابق أو سطحيته .من ذلك انني يوم كنت طالبة كنت أكره القراءة في كتب العقاد ، وقليلا ما عمدت الى قراءة كتاب من انتاجه. وحدث ذات مرة ان ذكرت ذلك امام احد أساتذتي فقال : يجب ان تقرئي لـه مرغمة ، واسرع الى رف المكتبة وتناول احـد مؤلفـات العقاد واعطاني اياه ، وكنت أثق بكلام هذا الاستاذ فحملت الكتاب وذهبت الى البيت موطنة العزم على ارغام النفس وقسرها واكراهها من أجل اتمام هذا الكتاب . وطبعـا انهيته وشعرت حقا بعد انتهائي مـن قراءته بأنني كنت مخطئة في رأيي . وكذلك كان حالي مع مؤلفـات مندور رحم الله الاثنين معا .ولقد تبين لي بعد ذلك ان السبب هو عمق الغور الفكري عند العقاد بحيث ان كل جملة من جمله تحتاج الى مجال فسيح من ساحة الفكر لتحتله ، وجانب كبير من التفكير ليستوعبها ويحللها . ثم هو بدافع من عقله المستولي على تصرفاته كلها جعل اسلوبه خاليا من كل صنعة فنية مقصودة أو طراوة تعبيرية ، فجاء مفصلا من جهة ومحفورا ومنحوتا نحتا من جهة اخرى على قدر معانيه ، فكنت لا ارى متنفسا للراحة في اية فقرة مـن فقراته . أي انه كان علي ان ابقى في حالة تيقظ كامـل بجميع جوارحي أثناء قراءتي له ، واذا ما همت لحظة ضاع مني المعنى وشعرت بالغموض والتعقيد .ذلك بالاضافة الى الثقافة الواسعة التي تعكسها كتابة العقاد والتي كان يصعب علي الاحاطة بمراميها . أما محمد مندور فكـان ذا أسلوب معقد ، بل شديد التعقيد ، وكان ضعيف اللغة قوي المادة الفكرية فيأتي تعبيره كثيفا ممتلئا مع شيء من الاضطراب في العرض .تلك هي الاسباب التي جعلتنـي انفر من قراءة هذين الاديبين الكبيرين كما استطعت ان أحللها فيما بعـد . واذا فيجب أن نقرأ كل شيء أن أردنا العلم ، وان نعتمد على توجيهات المرشدين والموجهين ان كنا في مراحل التعليم الاولى على الا يكون ذلك الارشاد قسرا ولا اكراها،ولكن نصحا وتبيانا لمواطن الفائدةوالخير.

واذا عدت الى السؤال الثاني : كيف نقرأ ؟ تبادر الى ذهني ما يصادفنا دائما من ظروف واحداث .نعطي مثلا احدى الطالبات قصة بسيطة ونطلب منها قراءتهاوتلخيصها فتعيدها الينا بعد فترة وتقول : لم استطع فهمها ، اريد ما هو أسهل. فالذي يثق بكلامها يستجيب لرغبتها ويعطيها ما هو ادنى منزلة .والذي يعرف علتها يبـدأ بالعـلاج فيسألها : ما هو الشيء الذي لم يفهم منها ؟ واية نقطة غمضت ؟ ونطلب منها اعادة قراءة القصة وتحديد الاماكن او النواحي الغامضة لكي توضح فيما بعـد . وحينـذاك ستعود الطالبة وقد فهمت كل شيء حقا ، فلماذا يا ترى؟ الحقيقة انها في المرة الاولى لم تعرف كيـف تقـرأ فكانت تستعرض الكتاب كمن يستعرض خبرا تافها فـي صحيفة ، تقفز عيناها عن بعض الاسطر وهي لا تدري ، وذلك لانه لم يحصل لديها الترابط بين ما مضى وما يتلوه وبالتالي هي لا تنتظر ما سيأتي ، ولذلك فانها لـم تفهم شيئا . اما في المرة الثانية فقد بدأت تقرأ لتتعرف الواضح من الغامض ولتسأل عن النواحي الغامضة ، ان صادفتها ، أي انه اصبح لها هدف من القراءة . وبهذا التسلـسـل الذهني ادركت ان ليس في الكتاب غموض وانما فـي ذهنها عدم تدقيق وقلة تنسيق وجهل للهـدف او عـدم تحديد له . ويؤسفنا حقا ان نجد العدد العديد من قرائنا يقرأ بعينيه دون فكره وببصره لا ببصيرته فلا يـرى الا حروفا سوداء مرسومة على ورق أبيض ، وقد تبلغ درجة السطحية ان يحفظ الطالب اشكال الحروف ومواقعها في المواد النظرية طبعا ، ويرسمها في الامتحان دون فهم أو استيعاب أو ادراك . ويؤسفنا كذلك من جهة أخرى ان نجد مدرسين ومدرسات لا يعرفون فحوى أي كتاب سوى ما مر معهم أيام تلمذتهم ، فلا يستطيعون ابداء توجيه او نصيحة لطلابهم او سائليهم .

فاذا أردنا ان نعرف كيف نقرأ وجب علينا ان نعرف كيف ننتبهوكيف نربط السابق باللاحق والاسباب بالنتائج، ونبحث عن معاني الالفاظ الغامضة والجمـل المعقـدة ،

وحينذاك نفهم ما نقرأ ونستفيد منه. ويمكن ان تشبه عملية القراءة بعملية الاكل تماما . فلو ابتلع الانسان ما أمامه من طعام ، دون تمييز كأن يأكل بطيخا فقط ساعة الغداء او يلتهم لوزا دون فصله عن قشوره ، او قمحا جامدا من غير ان يتحول الى طحين فخبز ، حينئذ سيحس بعدم جدوى هذا الطعام ويموت جوعا او يبحث عما هو اكثر فائدة . ولكن لسوء الحظ رزق الكثيرون ذوقا دقيقا فيما يتعلق بالاطعمة فميزوا انواعها وصنفوها حسب أوقات تناولها ، وبحثوا في كيفية صنعها وتركيبها من اجل الاستفادة منها. اما الكتب فأغلب قرائنا يتناولونها تناولا عشوائيا فلا يجدون لها أية فائدة ولا يشعرون بأي طعم ، وذلك لان ذوقنا الفكري ضعيف النماء ، ان لم يكن متحجرا ومعطلا عن العمل عند الكثيرين . فلكي نعرف كيف نقرأ علينا ان ندرك ما تحتاج اليه عقولنا وما يناسب هذه العقول ، فلا نعطيها اشياء خفيفة لا تسد رمقا ، ولا ثقيلة تصيبها بالتخمة،ثم بالتالي نعرف طريقة تناولنا لها بحيث نكون في حالة تنبه وفهم واستيضاح بالنسبة لكل ما يغمض ، أي أن نأخذ من الشيء الذي نحس بالحاجة اليه ثم نسعى بقدر نحو ما لا نرغبه لنتذوقه فقط ونتعرف نوعه فقد نجد فيه فائدة . كما أننا احيانا نرى طعاما جديدا علينا كل الجدة فنتناول بعضه بطرف لساننا فاذا به مقبول فنستزيد بعض الشيء واذ بنا نصبح من المفضلين له والراغبين فيه .

والان أعتقد ان الاجابة عن السؤال الثالث غدت قريبة الى الاذهان فالذي يقول : لماذا نقرأ؟ نسأله نحن بالتالي : لماذا نأكل .. لماذا نشرب .. لماذا ننام .. لماذا نجتمع بالناس .. لماذا نتحدث .. وسيقول : نفعل ذلك لاشباع رغبات في ذاتنا ، فنقول له ونقرأ كذلك لاشباع رغبات في ذوقنا وعقلنا . والذي لا يجد رغبة في القراءة يكون فكره مصابا بقلة الشهية ، تماما كالمعدة التي تحتاج الى مقبلات. ولكن صانعي الاطعمة اكثر منا مهارة ، نحن عارضي الافكار في اطر الالفاظ، فقد تفنن اولئك في ابتكار المقبلات التي تدفع بالمرء الى الطعام دفعا . اما نحن فما زال نشاطنا قاصرا في هذا الميدان . أو ربما كانت وسائل الدعاية الى هذه المأكولات اكثر قصورا مما نتصور ، ولذلك فان الكثيرين لا يفهمون حتى فائدة القراءة ، ولا يعرفون انها اشباع لاحدى الحاجات الاساسية في الانسان ، وان الذي يكره القراءة كالذي يصاب بمرض من الامراض المنفرة من الطعام او الشراب او النوم او الاجتماع ..الخ.

فعلينا نحن رواد مادة القراءة ، ان نبين للناس فوائدها ، ونقدمها لهم باطباق شهية مكللة بأعواد النعنع والبقول ، ومستوفية حاجتها من البهارات ، معتدلة الملوحة والحموضة والحلاوة بحيث تقبلها معداتهم العقلية وتقبل عليها ، كل حسب ما يناسبه . فاذا تم لهم ذلك مالوا الى ما هو أقل عناية لعلمهم انه مليء بالفائدة وان خلا مظهره من البهرج والزينة .

واذا كانت المكتبة خليطا لا تمييز فيه بين ما هو مقبل وما هو صارف للقابلية ، ظهرت مهارة المرشد والمدرس، والذي يعرض الانتاج الفكري في مجال من المجالات العامة كالصحف وغيرها.. فاظهر لقرائه النواحي المغرية الجذابة من الكتب ليقبلوا عليها اقبالا شهيا . ولو ان هؤلاء المتولين للخدمة في مطاعم الفكر قدموا لزوارهم صورة ملونة للكتاب الذي يستعرضون جزئيات بسيطة من فصوله لغدا لدى القارىء نوع من الاندفاع نحو قراءته. وليس هذا فحسب وانما من الواجب ان نعدد ونطور ونبتكر حتى نجتذب القراء ونتمكن من اقتطاع جزء ولو بسيط من اوقات هذا الشعب المهدرة فيما لا طائل من ورائه . فيمكن ان نستخدم الاذاعة والتلفزيون من جملة وسائل الدعاية لو أن المسؤولين جعلوا اثمان هذه الدعاية يمكن تحملها . ولو قام كل اديب يعتني بنوع من انواع المادة المقروءة ويبوبه وينسقه لكان في ذلك جذب اي جذب لقرائه. كأن يعتني مثلا احدنا بأخبار الرسامين ونوادرهم وقصص حياة مشاهيرهم والكفاح الذي عاشوه للوصول الى ذروة فنهم ليجعل لدى هواة الرسم رغبة في القراءة . ويفعل غيره كذلك ما يشابهه بالنسبة للموسيقيين ، الى اخره ، ويستطيع كذلك ان يدخل بين ثنايا كتابته نتفا كثيرة من الثقافة العامة التي يحتاجها كل انسان . .أقول لو فعل بعضنا ذلك لامكننا ان نولد عند قرائنا رغبة في المعرفة والاطلاع ، ولقدمنا لكل انسان ما يحتاج اليه فعرف لماذا يقرأ ، وأحس بالحاجة الذاتية الملمة نحو تلبية رغبات الفكر وأدرك انه يؤدي واجبا نحو عقله وذهنه .

أما السؤال الاخير : متى نقرأ فأظن اننا سنعرف الوقت الذي نقرأ فيه متى عرفنا ماذا نقرأ ، وكيف نقرأ ولماذا نقرأ . اي اننا حينذاك سنعمد الى كل دقيقة فراغ في حياتنا فنخصصها للقراءة . قد يقول الكثيرون بأنهم ليس عندهم وقت فارغ ، وأقول ان ذلك غير صحيح دائما . فقد تمر بالانسان أيام او اسابيع لا يجد فيها متنفسا للقراءة الحقة ، ولكنه حين يعرف الكتب التي عليه ان يقرأها والطريقة التي يمكنه ان يستوعبها من خلالها والفائدة التي سيجنيها منها، فانه لن يعدم لحظات يخصصها لها . وبكلمة موجزة اننا نقرأ حين نجد فراغا للقراءة . فكما اننا نقتطع لانفسنا لحظات للطعام ولحظات للضحك ودقائق للتسلية وسويعات للنوم وأوقات للعبادة فانه بامكاننا كذلك ان نضغط كل هذه الاوقات ونستخرج منها جزءا للقراءة . وبذلك يلحظ المرء دائما ان لديه حاجةالى القراءة في بعض الوقت ورغبة بها . انه جوع فكري يشبه تماما جميع الحاجات الاخرى كما ورد ذلك على لسان العقاد في كتابه « أنا » عن الحاجة العقلية التي تدفع المرء الى القراءة .

فلنقرأ ولنستفد مما نقرأ ولن نخسر ابدا شيئا بسبب ما نقرأ هذا اذا لم نربح الكثير .

دمشق **لطفية الشهابي**

بين عالمية الادب والعلم

بقلم سمير عبده

* * *

لا شك ان الفاصل بين العلم والادب ليس واضحا وضوحا تاما يمكن القارىء من أن يقول هذا علم وذاك أدب ، لان الواحد متداخل في الاخر في كثير من الاحوال ، فالعلم أدب من بعض الوجوه والادب علم من بعض الوجوه . واذا قصدنا بالادب اوسع ما ينطوي تحت الكلمة من المعاني ، قصدنا القول كل ما ليس علما ، واذا صح لنا أن نقول ان العلم مادي محسوس من جهة ، ويعزز بالتجارب في معامل فنية من جهة اخرى ، جاز لنا القول ان الادب معنوي روحي لا يستند على مقاييس مضبوطة ، ولا يدخل في دائرة المعامل التجريبية الدقيقة .

وكما أن العلم في حاجة الى أدب يحمل رسالته الى القراء من جميع طبقات الناس حتى يستطيعوا الانتفاع به في حياتهم وأعمالهم اليومية ، كذلك الادب يحتاج للعلم حتى تكون عبارته مؤيدة معززة مستندة على عمد فولاذية متينة من الحقائق الواقعية والاراء الواقعية التي فحصت فحصا ، وخرجت من بوتقة التجارب ناضجة ووزنت في الموازين الفنية فوجدت كاملة . ومن المؤسف القول هنا أن أدباءنا لا يحفلون بالعلم ولا يأخذون أنفسهم بدرسه والالمام بطائفة حسنة منه ومن جهل العلم ــ ولا سيما بعض العلم ــ فقد جهل الحياة . ولست أدري كيف يستطيع الاديب ان يكون أديبا حقا دون ان يكون ادبه صورة من صور الحياة . ولست ادري كيف يستطيع الاديب ان يصور الحياة وهو يجهلها ولا يعرف من أسرارها ودقائقها ولا من ظواهرها وقوانينها شيئا .

ان الاهتمام بالعلوم في ايامنا هذه لم يعد مقصورا على بلد ممتاز ، ولا على اوروبا .لقد زحف على المعمورة وأصبح دوليا . فكل المشاكل تدرس في نفس الوقت في كل مكان .ومن الصعب اليوم ، ومن المستحيل غدا العثور على مواد يمكن البحث فيها دون معرفة بالابحاث المكتوبة بلغات أجنبية.وهذا ما يحتم على كل أديب او كاتب ان يكون ملما بأكثر من لغة اجنبية ، خاصة ما كان منها لاتينيا كالانجليزية والافرنسية .وهنا نجد قضية جديدة حقا في الادب ، وهي قضية «العالمية والمحلية» وامام هذه القضية يختلف الادب القديم والادب الحديث اختلافا جوهريا ، فان أحدهما يبدأ من حيث ينتهي الاخر ، وفي بيان ذلك أقول : ان الاديب القديم كان محصورا في مجتمعه ، محدود الافق ببيئته ، منقطع الصلة بالعالم الخارجي وما يقع فيه من احداث الى ان تؤثر هذه الاحداث في حياته ومصالحه تأثيرا مباشرا وهو في مجاله الضيق ذاك يجد في الخيال أداة كافية لتوسيع مجال تجربته ، فاذا به يلتمس به الوقائع الجزئية ، والعلاقات المحلية المعاصرة له وسيلة الى فهم العام من بين التفصيلات ومن ثم كان دور الاديب تجريديا حين يحاول أن يستخلص من الخاص ذلك العام ، حين يخرج من المحلي الى العالمي، حين ينتقل من الفردي الى الانسان .

هكذا كان طابع الادب القديم ، ولم يكن من الممكن في تلك الظروف التاريخية القديمة أن يكون غير ذلك .

على ان العصور الحديثة قد دخلت فيها عناصر حيوية قلبت هذا الوضع رأسا على عقب واخص من هذه العناصر التقدم العلمي الذي احرزه العالم ، والوضع السياسي أو ــ لكي أكون دقيقا ــ الوعي السياسي الذي دب في كل زاوية من اركان هذا العالم .

أما من الناحية العلمية فقد كان للنجاح الذي احرزه الانسان في هذا المضمار أثره في خلق مجموعة من القيم الجديدة والعلاقات الجديدة بين شعوب العالم . وليست سهولة الاتصال بين هذه الشعوب الا أثرا من آثار العلم الحديث . وكان من شأن هذا الاتصال السريع اليسير أن نشأت علاقات كثيرة بين الشعوب ، وأصبح التعامل بين بعضها فكريا واقتصاديا أمرا لا سبيل الى دفعه . ومن ثم أصبح ما كان الاديب القديم يراه خيالا حقيقة ملموسة وأصبح الاخرون ، وان كانوا بعيدين ، يعيشون في حياتنا ونعيش في حياتهم ، ونتبادل معهم التأثير والتأثر . ومن ثم لم نعد في حاجة الى عالم خيالي نسبح فيه لان عالمنا قد صار رحبا بما فيه الكفاية .

وليس هذا وحده أثر التقدم العلمي ، فقد غيرالعلم كثيرا من معارفنا ، وأطلعنا على أشياء كنا نجهلها ونحسب الخوض فيها من وهم الاباطيل .وهذا الوعي العلمي كان له أثره في حياة الاديب المعاصر . وتكشف الحقائق العلمية للاديب المعاصر يساعده على تشكيل فنه على أسس فكرية غير التصورات الوهمية القديمة .

ولم يكن في الادب القديم أي أثر لوعي علمي كهذا ، لان العلم ذاته ، فضلا عن أنه كان بعيدا عن متناولهم ، كان ممزوجا بعنصر خرافي في كثير من الاحيان . وقد ظل هذا داب الادباء حتى بعد عصر النهضة في أوروبا .

وكما يقول ايفور ايفانز : المؤكد ان الشعراء وغيرهم من الكتاب الابداعيين في القرن السادس عشر لم يشعروا على أي نحو قوي بأثر العلم ، والظاهر ان شكسبير كان مكتفيا بكتاب بليني **Pliny** التاريخ الطبيعي وبوجهة نظر العصور الوسطى في علم الفلك . ولكننا بعد ذلك سرعان ما نجد العلم بنظرياته الحديثة يتغلغل في عقول الادباء ، بل ربما شاركوا هم فيه ايضا مشاركة فعالة كما

خذيني اليك

●

تحيرت .. أيهما أعظم ..! | أصدرك أحلى .. أم المبسم ؟
فثغرك ينشق عن شفتين | كما انشق عن وردة برعم
يد الله قد أبدعته فما | تتوق الى لثمه .. الانجم
فم لو جرى فوقه علقم | سيحلو على الشفة العلقم
وصدرك .. ؟ ما الصدر الا سنا | واني بهذا السنا مغرم
فصدرك والثغر أنشودتان | بربك من بهما .. ينعم ؟
وهل تسعدين بهذا الجمال | أم الحسن كالقبح لا يرحم؟
أحقا شقيت به ؟ أنني | لهذا الشقا دائما توأم
خذيني اليك .. لنسمو به | فرب شقاء لنا مغنم !
فاني أخاف عليك يدا | حريرية ، وبها أرقم !

جدة — مقبل العيسى

صنع غوته مثلا . وقد كانت نزعة الشك في الادب الحديث اثرا من آثار التقدم العلمي ، والشك ليس سوى فقدان الثقة في القيم القديمة .

وهنا قد يسال سائل،وقد اشرفنا على شرح تفاعل العلم مع الادب : هل الادب العالمي ارقى واحفل وافضل من الادب القومي المحصور في امة واحدة ، لان الادب العالمي يعرف في أمم عديدة ولا يعرف الادب القومي الا في امة دون غيرها . ان هذا وهم في الحقيقة . لان كل أدب ذاع في أنحاء العالم انما كان قبل ذلك مقصورا على البلد الذي نشأ فيه ، فاذا كانت له مزية نفسية فهذه المزية مستقرة فيه ملازمة له ، وليست هي بالمزية التي تطرأ عليه عندما يترجم وينقل بالترجمة الى لغات كثيرة .

هذه ناحية جدير الانتباه اليها حين نستعرض اعلام الادب والفكر العالميين ، فقبل فترة من الزمن كتبت الى زميل لي في احدى عواصم الفكر الاوروبي استشيره في ترجمة كتب لكاتب معين ، له صيت واسم رنان في عالمنا العربي ، فكان جواب زميلي عبارة : لا كرامة لنبي بين قومه ، وذكر لي اسماء كتاب يجهلهم معظم كتابنا واشار الي بترجمة كتبهم الى اللغة العربية .

هذا المثال يوضح كم يظلم المستشرقون او المعربون حين توجيه الانظار الى شخص او اشخاص اشتهروا في سنة من السنين ، لان القدرة الادبية لا تخلق لشاعر او لكاتب او لاديب في سنة من السنين في تلك السنة التي اشتهر فيها وانما هي مخلوقة فيما كتب عندما جادت به قريحته قبل أن يعرف الناس قدره وقدر آثاره .

ان الادب العالمي ليس مرتبة من مراتب السمو يرتفع اليها الكتاب والكاتب ، ولكنها حالة من الحالات تتيسر أسبابها فتظهر ، وتخطئها هذه الاسباب فيخطئها الظهور.

وقد كان للفرس شعراء عالميون ولم يقل احد ان الادب الفارسي أغنى بالذخائر الشعرية من ادب العرب او أدب المصريين . وكل ما في الامر ان شعراء الفرس العالميين ظفروا بالمترجم الذي أذاع آثارهم في اللغات الاوروبية لمناسبة عارضة وجدت في وقت من الاوقات .

وكان من السهل الا توجد فيبقى اولئك الشعراء مغمورين. هنا تبقى الحقيقة بعض الاحيان مغلقة دون معرفتها ، ولنا ان نقول الان ونحن ننعم في جو المدنية والحضارة ، ان التقدم العلمي ساعد الان على افساح الرقعة التي يعيش فيها الاديب الحديث من وجهة ، كما عمل على تعميق فهمه للاشياء خارجه ،وخارج اطار بيئته المحدودة، ومن ثم أصبح من اللازم للاديب المعاصر أن يكون على صلة بالافاق الانسانية العالمية ، كما اوضحنا في بدء المقالة ، حتى يستطيع تصور وضعه المحدود في بيئته المحلية ، انه يفهم العالم لكي يفهم نفسه ، او يفهم العام لكي يفهم الخاص .

دمشق — سمير عبده

أصلح «حنفي» من هيئة فرسه بعد ان قدم له قدرا كبيرا من الماء اطفأ به حرارة الرحلة الطويلة التي قطعا منذ الصباح الباكر حتى الظهر.

وقبل ان يصعد الى ظهر عربة «الكارو» داعب ابنه «رمضان» الذي كان مشغولا بمتابعة صبي في مثل سنه — السادسة — يسير في يد أمه ، وكأنما كانت مداعبة أبيه قرصة قاسية انتشلته من ذوبانه التأملي ، وقطعت عليه متابعة ذلك المنظر الذي يرتبط بانطباعات راسخة في أعماقه، وبدأ يحول نظرته الى أبيه بمشاعر متبلدة جافة .

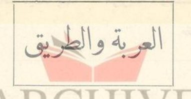
جذب حنفي طرفي الحبل الذي يصله بالفرس وبدأت العربة في التحرك واخرجمن جيبه بعض الحلوى وضعها في حجر ابنه قائلا : كلها يا رمضان .

ولم يصنع رمضان شيئا سوى أن وضع عليها يده ، وراحت عيناه تطوفان فيما حوله وتحملقان قليلا فيما تستملحانه في صمت ، غير أن السمة الغالبة على تلك النظراتكانت السرعة والكآبة ، وعدم الاكتراث .

وحدث اكثر من مرة ان حاول حنفي ان يحطم جدار الصمت الذي صنعته كآبة رمضان ، بيد ان اصرار رمضان على التزام الصمت أسلم حنفي الى حالة من اليأس مع شيء من الضيق بدأ يغلي في صدره ،

اخذت العربة تشق طريقهاالغاص بالناس ... شقت المناكب المتزاحمة في «الغورية» وخلفت حي الحسين وراءها ، وبدأت مرحلة جديدة في حي «الحسينية» وبدأت تسير على مهل ، ورمضان ما زال صامتا ، وعينا حنفي تتفحصان في استشراف متسع الحدقات ، كأنما تبحثان عن شيء ضائع ... ووجهه قد تلفع بهيئة جليدية ، وان بدت فيه ملامح قاسية مكشرة موزعة بلا نظام ، كأنها خطوط الفحم الاسود ، وفجأة ذابت السحنة الجليدية ، وبدأت الخطوط الفحمية السوداء تزول واتسعت الحدقات أكثر فأكثر وصاحبها اتساع أذنيه ، فقد تناهى الى سمعه صوت يناديه : قف يا حنفي .

انه صوت يعرفه من بين آلاف الاصوات ... انه يعرف صاحبته جيدا ... معرفة قديمة ، وكثيرا ما كان يتأخر عن زوجته من أجلها ، ولكم قال لها ان الوضع الطبيعي ان تكون هي حيث تكون زوجته لانها وحدها هي التي (تفهمه) وهي وحدها التي (تعدل مزاجه) ، وكثير من الاصوات نادته من قبل ، غير انه لا يهتز الا لهذا الصوت ، فصاحبته صارت أقرب الناس الى نفسه ، وهو في شوق عظيم الى رؤيتها لان ظروفا حالت دون ذلك منذ أيام



بقلم يوسف نوفل

عديدة مضت .

أوقف العربة وراحت عيناه تخترقان الزحام ، كأنما تحاولان انتشالها ، واستطاع اخيرا أن يتبينها حيث بدت جميلة كعهده بها، وشرعت ابتسامة عريضة تتراقص فوق شفتيه ، ونظرات زائغة تلمع في عينيه ، ورحب بها ، ثم ركبت العربة ، واستأنفت السير .

— هو هذا يا حنفي ؟

وغمزت بطرف عينها اليسرى نحو رمضان .

— نعم ... سلم عليها يا رمضان.

— وما له مقفل هكذا !.



— لا . رمضان ولد يعجبك ... لكنه تعبان .

وسرعان ما اخذت بناصية الحديث الى اشياء أخرى ، ونسيت رمضان تماما ، في نفس الوقت الذي بدأت نبرات صوتها تتحول الى حالة همس ونجوى واشتركت عيناها وحاجباها في الحديث...وبين الآونة والاخرى كانت يدها تمتد لتسهم بقسط ما في تبادله .

كان من الصعب على رمضان ان يفهم الحديث الذي اكتسب طابعا أكبر من سنه ، وخاصة مجالات يقصر عن ارتيادها عقله الصغير،غير انه وجد نفسه منساقا الى متابعته فقد شدت المراة ناظريه وأن صاحب ذلك اشمئزازه المشوب بالمرارة .

لم يكن يفهم ما تهمس به المراة حينا ، وما تجهر به حينا ، غير أنه احس بأعماقه تضعضع الغيوم التي كثيرا ما تحجب الحقائق عن الطفل ، وشعر بمرارة تتسرب الى حلقه ، ووجد نفسه يسدد نظرات حادة اليها ... نظرات كفيلة أن تعكس الصورة القاتمة التي استقرت في ثنايا نفسه ، ونسي متابعته الطريق واستملاحه لما يرى ... ولم يكن يصرفه عن مراقبته المراة سوى التفاتاتها التي كانت تصوب نحوه سهاما قاتلة من الحقد والاستصغار والضيق ... واكد له ذلك جانبا من حديثها ، وهو الذي استطاع ان يفهمه من بين ما دار من حديث .

— أين أنت يا حنفي منذ مدة ؟

— مشغول والله يا ستوته .

— مشغول ؟...مشغول بماذا ؟

وضحك حنفي ، رآه رمضان يضحك بنشوة ، ويهتز ، فازداد جفاف حلقه ، واحس بتدفق العرق من تحت أبطيه ، ومن مسام وجهه ، وسمعه يقول :

— لا ...رمضان هو الذي شغلني.

— شغلك ؟ لماذا ؟.. يذهب الى أمه ويريحنا .

واحس رمضان بضربة مفاجئة

سريعة ، كانها السكينة الحادة ، تغوص الى اعماقه ، وشعر برغبته الاكيدة في البكاء ، وكادت الدموع ان تطفر من عينيه ، وخشي ان يراها ابوه ، فحول وجهه عنهما ، وتظاهر بمتابعة الطريق .

وتبادلا الحديث الهامس بضع لحظات ، ثم نزلت المراة بعد ان ودعت حنفي بعناية وهي تكرر : لا تنس يا حنفي ... لا تنس .

ذهب حنفي الى بيته واوقد ذبالة محترقة صبغت الحجرة المتواضعة بارتعاشات باهتة تنقبض لها النفس، وبدت الحجرة كقاع بئر تتناثر فيها قطع مختلفة الانواع والاحجام بينما انزوى رمضان في ركن من اركان الحجرة متقوسا ، وعيناه مسددتان الى ارض الحجرة ، ولف هذا كله صمت ثقيل ، بدده حنفي بهمسة حانية :

ـ تشرب يا رمضان ؟

فأجاب باقتضاب : لا .. ثم دنا منه قليلا ، وقال له مبتسما :

ـ ما رأيك يا رمضان لو عاشت هذه المراة معنا ؟

وسكت رمضان ولم يرفع عينيه عن الارض ، فاحتواه حنفي بيديه واخذ يقبله ويقول : لم لا ترد يا رمضان ؟... ستحضر لتنظفك وتؤنسك .

وانتفض الصبي كالملسوع ، وتخلص من يدي أبيه وانتصب وسط الحجرة ، والظلال الشاحبة تصوبها الذبابة نحو وجهة الضامر الصغير ، وقال ثائرا :

ـ لا لا ... انها تخيفني انها تكرهني .

وانهار الصبي على الارض كما ينهار عمود صغير وقد ارتفع صوته بالبكاء . وتناوله حنفي بين يديه ونظراته تحدق فيه بشرود ذاهل دون ان تتحرك شفتاه بكلمة .

ارتدت الى ذهنه كل الصور التي مرت عبر طريقه في الفورية، استعاد حديثه مع ستوته ، تمثله كلمة كلمة، وحينئذ بدت له في صورة اخرى ، احس نحوها بشيء من البرود ، بل ربما امتزج بهذا الشعور نفور وخوف ... فقد كان كل هذا كفيلا ان يقدم بين يديه ارهاصا سريعا لحياته التي كانت على وشك البدء ... فقد كان من المقرر ان تحتل «ستوته» فراش ام رمضان ، وتصبح سيدة الحجرة الضيقة القابعة فوق احد السطوح بالحسينية ... فاي مصير كان ينتظر رمضان واي قلق واضطراب كان سيحرك اجراس التعب في حياته وشعر بدوار عنيف يلف به في انحاء الحجرة ، وغشاوة تظلل عينيه ، وشعر كأن قلبه يوشك ان ينتقل من مكانه .. وتنبه بعد ذلك الى رمضان فاحتضنه بعنف ، وتأهب لينام ولكن ما يشغل باله ارقه .

في الصباح اخذت العربة طريقها مجتازة (الحسينية) ماضية نحو حي (الحسين) ، ورمضان شارد الذهن لا يدري من آمر العربة سوى انها تبدأ جولاتها في سبيل لقمة العيش، وليس من واجبه الا ان يجلس هذه الجلسة التي بدأ عهدها منذ غادرت امه منزل ابيه .

اخذت العربة تتجه نحو تلال (الدراسة) حتى بلغت أكواخ الصفيح المتلاصقة ونزل عن العربة ، وحمل رمضان بذراعيه ، والصبي يتسم الطريق صامتا ، وشيء من التردد يجتاح نفسه فربما تصرف معه ابو زوجته تصرفا خشنا لا يقبله ، ثم تمتم قائلا : كله في سبيل رمضان .

وتوقف امام (غرزة) ... كان يعرف طريق صهره متولي ابو العزم الذي قابله مرحبا : خير . ثم احتوى رمضان بذراعيه ، والصبي يبتسم ويقول بلهفة وشوق :

جدي .. جدي . اين امي .. ايـن امي .

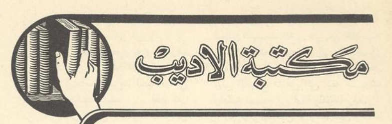
وتحرك الثلاثة بعد دقائق يتقدمهم «متولي» الى احد الاكواخ القريبة ، وكم كان بوده ان يقطع المسافة الصغيرة فيما بينه وبين الكوخ بخطوة واحدة لولا ان شيخوخته ثبطت النشاط الذي دب في خلاياه منذ لحظات ، ومرق الى الداخل ومعه الصبي ، وانتظر حنفي وحده، وفي الخارج تناهى الى أذنه صوت راعش يصيح في لهفة بالغة : رمضان!

ثم زقزقة قبل ، وصدى بكاء مكتوم ... وبدا صوت رمضان ضعيفا لم يفسر منه شيئا ، واحس بنشوة غريبة تختمر في عروق راسه ، وساعتها ابتسم ، وود لو راى هذا المنظر بعينيه ، غير ان انتظاره لم يطل فقد خرج له متولي يقول له : انتهينا يا سيدي ... ربنا المسامح .. والصلح خير في سبيل الولد المسكين .

ودخل حنفي الى الكوخ ، وشد على يد زوجته التي دفنت وجهها في يدها اليسرى واجهشت بالبكاء ،غير ان هذا البكاء كان خير دليل لحنفي على موجة الفرح التي اعتصرت قلب زوجته .

وما كادت الشمس تتوسط السماء حتى كانت العربة تأخذ طريق العودة الى الحسينية يقودها حنفي ووراءه تجلس زوجته محتضنة رمضان ومشاعر دافئة تتألق في أعماق الثلاثة ، وعلى شفاههم ترقص ابتسامات سعيدة ، ومزيد من الدفء يغمر قلب رمضان .

القاهرة　　　　يوسف نوفل



التاريخ العربي وبدايته

تأليف امين مدني – الجزء الاول – ٣٨٠ صفحة – حجم كبير – منشورات دار المعارف بمصر ، القاهرة

ليست كتابة التاريخ سهلة ومتاحة بدون عناء أو عناد . فالتاريخ السرد ضرب من القصص الممل ، والتاريخ الذي يخلو من روح المؤرخ هيكل فارغ يدوي في فضائه الريح ، ولهذا فان بعضا من مفكري عصرنا ، وبخاصة في الغرب يكرهون التاريخ ، بل منهم من لا يؤمن به ، ولقد كان الشاعر العظيم بول فاليري ينكر التاريخ ولا يجد له مبررا ولا جدوى في الوجود .

وكيف تم مثل هذا الامر ، أو طرحته الآراء الصوائب مطارح النبذ والاهمال ، فان التاريخ علم عرفته الانسانية منذ كانت ، وقدم من أجله مؤرخون قدامى في أعتق الزمان مثل سترابون واشباهه منتوجا خالدا على الدهر ، يحفظ أخبار الغابرين للحاضرين ، فنشأ علم التاريخ نشأة مجدية وقلدت بعض الامم بعضها فيه ، وكان لأمتنا العربية اسهام بالغ في عالمه الوسيع ، حتى تكاد آثارنا الخوالي في التاريخ تبلغ ثلث النتاج في حياة الفكر العربي بكل العصور .

أما كتابة التاريخ فشيء آخر. فمن المؤرخين من يوردون الحوادث بطريقة القصص ، ومنهم من يجفون هذا السبيل وينقلون الحوادث نقلا من غير أن يكون لهم أثر فيها ، وهذا أسوأ أنواع التأليف في علم التاريخ . وكانت هذه حالة التاريخ حينا من الدهر عند الغربيين حتى جاء المؤرخ المعاصر واضع منهج التاريخ الحديث فوستيل دو قولانج فجعل للمؤرخ النوبة البارزة والمرموقة في تأليف التاريخ ، فطالبه بآرائه فيما يؤرخ وموقفه من الحوادث ، وجعل التاريخ المقارن ديدن البحث والدرس الحديث .

وكانت هبة التأليف التاريخي في عصرنا العربي فعرفنا مؤرخين من طرز أشتات ورحت ألوب بينهم على مؤرخ كالذي يريده دوقولانج ، ولم أجد العالم العربي الحديث محروما هذا الفضل وقد ازددت اعجابا حين تفضل صديقي المؤرخ العربي الكبير الاستاذ أمين مدني فاهدى الي الجزء الاول المطبوع من موسوعته التاريخية «العرب في أحقاب التاريخ» وجعل اسم الجزء الاول منها المطبوع «التاريخ العربي وبدايته » .

لقد ضم هذا السفر النفيس كلام المؤلف النابغ على عصور ما قبل الاسلام فبدأه بتحليل فكري لقضية التاريخ العربي ، وكيف وقف موقف المتثبت العادل امام لجج التاريخ العربي في خضمه الواسع معترفا للاقدمين بالسبق والتقدم ، وانه يكتب تاريخه تعقيبا وتنقية وتوسعة ، حاملا بيده مشعل التحقيق العلمي الذي لا ينبغي ان تخمد أشعته الكاشفة ، مقدرا عسر المهمة التاريخية التي نهض بها في التأليف الحديث ، اذ يجد بين يديه كتبا كثرا مختلفات الالوان والمنازع في الحوادث الجسام ، يكتنفها الغموض ويشوبها الوضع نقلت الى عالمنا الفكري نقلا بغير بحث أو درس او تمحيص، وما كان منها قد تحلى بهذه الحلية المفقودة فقليل . لكنها جمعت فاوعت ، وعلى المؤرخ الحديث ان يتناولها بالتنقيح والتنقير .

ولقد بين المؤلف ما كانت تصنع الشعوبية في افساد التاريخ العربي من دس التزوير فيه وبعث التشويه الذي يقضي على حقيقته خلال العصور . وحين جاوز المؤلف القدير في بحثه هذا الذي جعله مقدمة بقلمه لكتابه، أخذ بأصول التاريخ العربي ، ولما صار الى كلامه على الخصوم الذين كدروا منابع التاريخ العربي ذكر قريشا وما كان منها من أذى وتنكر للرسول محمد صلوات الرحمن عليه ، وعنت وارهاق ، فاشفق من أن يكون القرشيون كلهم أبا لهب وأبا جهل وابن الحارث من الاعداء الالداء للحركة الاسلامية ثم أخذ يذكر أصحاب الرسول المنافحين عنه أمثال قصي بن كلاب وعبدالمطلب بن هشام وورقة بن نوفل. ثم مضى في مقدمته يذكر العقبات التاريخية ويناقش عواملها حتى صار الى عهد الصليبيين في مغازيهم للديار العربية ثم حط رحال بحثه في الاستعمار الحديث وما ادخر الغربيون من المضرة للشعوب العربية مبينا الجهاد العربي المعاصر في ديار العروبة الوائبة .

وقد كانت خطة كتابه هذه في مقدمته أشبه بملخص لرسالة دكتوراه رمى بموضوعها الى مدى بعيد في البحث والاعداد ، وصحة الحكم ، حتى ان كتابه هذا استطيع ان أعده مصدرا جامعيا للتاريخ العربي الذي نهض به المؤلف .

ولست أجد من المباح بمثل هذا المقال الذي يصف شذى الزهر وفوح العطر ان اقطف طاقة من رياحينه النديات لاقدمها الى قرائي في «الاديب» الاغر دون أن أذكر لهم انواع هذه الازاهير ومنابتها وأصصها وأشكالها ، فمن لي بأن اشرح لهم في موضوعاته ما كتبه المؤلف الكبير في بحوثه المستفيضة عن قلب البلاد العربية بأنها المهد الاول للحضارة الانسانية وكيف حكمت الدول القديمة وكم دامت عهود حكمها والاديان العتيقة في جزيرة العرب وتاريخ اللغة العربية وظهورها والخط العربي والخطوط في اللغات التي عاصرت الوجود العربي القديم . ولم يغض من أثر الحضارة العتيقة المصرية والاغريقية والرومانية .

وقد آثرت الوقفة المرحة عند كلامه على الشعر العربي كيف مثل لغة العرب واحتضنها وطربت لكلامه على الحضارة العربية بالملاحة وما وراء البحار وعن تجوال العرب في العراق وسورية حين تكلم على حضارتيهما وعلى حضارة وادي النيل . وكانت خاتمة مطافه في كتابه الكبير كلامه على قدم التاريخ العربي ومنابته العتيقة وعلى صحة المصادر التاريخية وكنه هذه المصادر .

وقد آثر صديقان للمؤلف جليلان ، واحد له شهرته في عالم الدراسات الدينية الازهرية والآخر له في العصر الحديث الصدارة في فن التاريخ القصصي ، فكتب كل منهما مقدمة ضافية وتحليلية لكتابه هذا الجليل .فالاول هو الشيخ المجتهد العميد محمد محمد المدني عميد كلية الشريعة بالجامعة الازهرية بالقاهرة والثاني صاحب «تاريخ ما أهمله التاريخ» وهو الكاتب المشهور الاستاذ حبيب جاماتي ، وقد عرفتهما بضفاف النيل حق المعرفة وحق الصداقة ولي معهما عهود ولقاءات كثيرة ، وقد كان كل منهما يزاحم الآخر في الاعجاب بكتاب المؤرخ العربي المعاصر الاستاذ امين مدني الذي يسكن المدينة المنورة وهو من عيون الفكر فيها محفوفا بتجلة مواطنيه وتقدير العالم العربي.

وأعود بالقول لقرائي الاعزة في «الاديب» الحبيب بأن القلم مهما يبذل من جهد فلن يستطيع حمل ذلك الاريج الفواح من كتاب الاستاذ أمين المدني ، فلا بد اذن من ممارسة البستان ذاته لقطاف أزاهيره الجميلة ، والانس بخمائله الندية .

دمشق — زكي المحاسني

ديوان شعر ـ عبدالله يوركي حلاق ـ يصدر الديوان في اوائل الشهر الجاري عن مطبعة الضاد بحلب ـ وفيما يلي مقدمة الديوان بقلم الاديب الشاعر محمد عبدالغني حسن وهي خير تعريف بالديوان .

قل للذين يجزعون من كتابة المقدمات في دواوين الشعر : لا تجزعوا ، ولا تحسبوا أنها بدعة ! وعلى فرض انها بدعة فهي ليست من ضلالات البدع ، ولكنها من مستحباتها ! وعلى كل حال ، فتقديم دواوين الشعر بغير أقلام أصحابها الشعراء ، هي من مبتكرات القرن العشرين ، وهل كان القرن العشرون الا بداية لكل ابتكار طريف ؟

فحينما أصدر الشاعر الرقيق «احمد نسيم» ديوانه سنة ١٩٠٨ تولى تقديمه الى القراء اثنان احدهما الكاتب الناقد الكبير المرحوم محمد ابراهيم هلال ، ولكنها كانت مقدمة في موضوع «الشعر» جملة ، لا في الديوان الذي يقدمان له . ومن طريف ما نقله صاحبا المقدمة عن تعريف «الامارتين» للشعر قوله : «الشعر هو تجسيم ما يلهم به الفكر ، ويصطفيه الضمير مما في الطبيعة من المناظر الجميلة ، والانغام المتناسبة التي لا ينبو عنها السمع ».

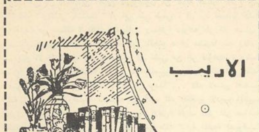
ويظهر ان الناس في ذلك العهد ، الذي ظهر فيه ديوان احمد نسيم ، كانوا على حيرة من أمرهم في تعريف الشعر وماهيته ، الى حد ان المرحوم المؤرخ جرجي زيدان لما أصدر الجزء الاول من كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية» عرف الشعر تعريفا حديثا وازن بينه وبين تعريفات القدامى حتى عصر ابن خلدون ، الذي خطا في تعريف الشعر خطوة جديدة ...

وحينما ظهر الجزء الثاني من ديوان عبدالرحمن شكري سنة ١٩١٣ حمل المرحوم عباس محمود العقاد لواء تقديمه . ولعله قصد بهذا ان يدافع عنه ، ويدفع ما اتهم به من الغموض ومحاكاة الاسلوب الافرنجي ... وقد انكر العقاد تعبير «الاسلوب الافرنجي» هذا انكارا شديدا ، وقال بنص عبارته : «وانا لا اعلم ماذا يعني هؤلاء بقولهم الاسلوب الافرنجي والاسلوب العربي ، فان المسالة على ما اعتقد ليست مسالة تباين في الاساليب والتراكيب ، ولكنها مسالة تفاوت في جوهر الطبائع واختلاف بين شعراء الافرنجج وشعراء العرب في المزاج ، كاختلاف الامتين في الملامح والسحناء ...»

ومضت السنون بعد هذا التاريخ ، وهي تحمل كل عام نتاجا جديدا من الشعر .ولا يخلو ديوان او اكثر ـ مما يصدر كل عام ـ من تقدمة يقدمها غير الشاعر .فديوان «الفجر الاول» لخليل شيبوب ، الذي ظهر سنة ١٩٢١ ، يقدمه الشاعر خليل مطران . وديوان طانيوس عبده ، الذي صدر عن دار الهلال سنة ١٩٢٥ ، يقدمه الكاتب الاديب انطون الجميل . وديوان الامير شكيب ارسلان ، الذي أصدرته دار المنار سنة ١٩٣٥ ، يقدمه الشاعر خليل مطران .وديوان «من وراء الافق» لمحمد عبدالغني حسن ، الذي صدر عن دار المعارف سنة١٩٤٧، يقدمه انطون الجميل ... وهكذا تكثر المقدمات للدواوين بغير أقلام أصحابها الى حد يثير غضب احد النقاد فيقيم عليها الدنيا ويقعدها ..

وقد اختار بعض الشعراء ان يقدموا دواوينهم بانفسهم ،وباقلامهم، ولعلهم بذلك اتبعوا الطريق العادي المالوف في تقديم الكتب منذ ظهر للانسان كتاب .فكل انسان اولى بتقديم كتابه ، والتعريف به ، والتدليل على مذاهبه واتجاهاته فيه ، والكشف عن أهدافه منه . واذكر ممن فعل ذلك من شعراء زماننا هذا ، الشاعر الوطني الكبير أحمد الكاشف . فقد قدم لديوانه الذي صدر سنة ١٩١٤ بمقدمة طويلة جدا من قلمه تبلغ صفحاتها ثلاثين صفحة كاملة .

وحينما طلب الي صديقي الشاعر عبدالله يوركي حلاق ، ان أضع لديوانه الجديد هذا مقدمة ، ترددت أول الامر مخافة ان يصيبني



الاديـب

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العـادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

●

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ المنزل ٢٢٥١٣٩

Tel : Dir : 223819 Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير اديب

شواظ من نار الناقدين الذين لا يرضون عن كتابة هذا النوع من المقدمات ! ولكنني خشيت ، او أبى علي طبعي ، ان أرد لصديق طلبا، او أصده عن مسألة لا تكلفني شيئا . وسأقرأ ديوانه على اي حال ، ويستوي عندي ان اقرأه مخطوطا قبل الطبع ، او مطبوعا بعد ذلك . فلم يبق الا ان اكتب عنه ما انطبع في نفسي من أثر لقراءته ، وتلك مسألة هينة ما دام الصدق رائدي في التعبير .ويشهد الله انني عنفت نفسي على التردد في مسألة لا تحتمل ترددا ... فقد لامتني النفس قائلة : اذا كنت رضيت لنفسك ان يكتب لك الكاتب الاديب الكبير انطون الجميل مقدمة لديوانك «من وراء الافق» فكيف تنكر على صاحبك الشاعر عبدالله يوركي حلاق ، ان يطلب منك كتابة مقدمة لديوانه «حصاد الذكريات» ؟.

ولكن الحق أن ترددي لم يكن فحسب لابائي كتابة هذا النوع من المقدمات ، او مخافة ان يحشرني الناقدون الظالمون مع كتاب المقدمات ، واصحاب المجاملات ... ولكن كان هناك سبب آخر يحملني على التردد في هذه القضية التي الجاني اليها الشاعر الصديق عبدالله يوركي حلاق صاحب ديوان «خيوط الغمام» الذي كان من حظي ان اتناوله بالنقد والتعريف في عدد من اعداد مجلة «المقتطف» سنة ١٩٤٣، أي بعد شهور قليلة من ظهور طبعته الثانية سنة ١٩٤٢ . فأنا رجل أحسن الظن بالناس ، واسيء الظن بنفسي الى حد كبير .. فمن أنا حتى اكتب مقدمة لشاعر ارى أن افسح فيها المجال لشاعر ناقد يكون أقدر مني شبابا ، وانضر مني اهابا ..! ولكني ـ والحق اقول ـ خشيت ان يكون ديني ودين عبدالله يوركي حلاق في الشعر العربي الاصيل ، مما لا يسيغه الذين يجدون الماء الزلال مرا في أفواههم ... فقلت لنفسي : هذه فرصة لا ندعها تفلت من ايدينا ، لنكشف فيها عن اصالة الطبع ، ودقة الشعور عند شاعر من مدرستنا التي يسميها الناس : مدرسة شعراء الديباجة والصياغة ...

ومتى كانت الديباجة المشرقة ، والصياغة الأنيقة المونقة عيبا في الشعر ، او نقصا في الشاعر ، الا في زمان احتفل الناس فيه بالركاكة ، وانشغلوا بالتفاهة ، وهبطوا الى درك العجز عن التعبير الناصع الوضيء ؟ اننا نقرأ في الشعر الذي يسمونه جديدا ، او مجددا ، كلاما مرصوصا على غير طريقة ، مخطوطا على غير خطة ، لا تجد له النفس طعما سائغا ، ولا معنى واضحا ، ولا بيتا يؤثر ، ولا شطرة تحفظ ، ولا مثلا يسير ، كأنه ولد ليكون ميتا ، او قذف به من بطن قائله ليكون موءودا. ولو أنك تساءلت : بأي ذنب قتل هذا الموءود، لجاءك الجواب حاضرا بأنه قتل بيد صاحبه ... فلا مرحبا بشعر لا يدرى اذا كان نظما ام نثرا ، ولا يعرف ـ على سبيل اليقين ـ اذا كان غثاء نفس ، ام هذيان حس ؟! ومرحبا ـ والف مرحب ـ بشعر تقرؤه فتجده سوي الطبع ، مستقيم البناء ، شريف المعنى ، وضيء العبارة، دفاق الشعور .

من أجل هذا ، فرحت كل الفرح ان اكتب عن شعر عبدالله يوركي حلاق ، وان اقدم لديوانه الجديد .وكأنني في هذا اكتب عن شعري ، او اقدم لاحد دواويني ! فان المدرسة التي تجمعني مع عبدالله يوركي حلاق هي المدرسة التي لا ارضى في الشعر عنها بديلا ، وهي المدرسة التي وصلت ما بين ماضي الشعر العربي وحاضره ، لانها تأخذ اروع ما في القديم ، وأصح ما في الحديث وأعقله وارصنه ، وتخرج من ذلك شعرا لا هو بالقديم المقلد ، ولا هو بالجديد المتهور ، ولكنه مزاج معتدل ، فيه الفكر الجديد بطرافته ، وفيه الطبع القديم بعراقته.

والشاعر عبدالله يوركي حلاق انسان أحسن التعبير عن الشاعر في قصيدته «شهداء الفن» التي يقول فيها :

يحسدون الشاعر الفذ ، ولو   أنصفوه لبكوا حزنا عليه

دقة الاحساس اضنت جسمه   ورؤى الالهام أفنت مقلتيه

دمه حبر على قرطاسه   حبره الاسود يجلو الظلمات

روحه يسكبها في شعره   شعره نور ، ونار ، وعظات

وهو شاعر يحب الحياة على الرغم مما فيها من متناقضات ، وهو متفطن الى هذه المتناقضات العجيبة التي لا يجد الناس فيها حيلة ، ولا لها دفعا :

العمر مهزلة تمر فصولها   في مسرح يغري الانام ويخدع

ومن المهازل موت فذ نابغ   نفع البلاد وعيش من لا ينفع

ولكن هل جعلت مفارقات الحياة ومتناقضاتها من عبدالله يوركي حلاق شاعرا انطوائيا او انعزاليا ، او حزين النغم ؟ اننا نراه انسانا يقبل على الحياة والاحياء بشهوة ـ ولا اقول بشهية ـ الرجل الذي يجد مساغا وطعما في الوان الحياة. فنرى له مشاركات جمة في اجتماعات الناس واجتماعياتهم . فاذا أقيم حفل لتكريم شاعر كعمر أبي ريشة ، رأيت عبدالله يوركي حلاق اسبق الناس الى القول فيه قائلا :

صرخة الحق من قريضك امضى   يا صديقي من الحسام اليماني

رب باغ طلبته فتحاشى   لاذع النقد ، وانطوى كالدخان

لا يرد الظلوم الا انتقاد   من اديب ، او طعنة من سنان

رب عرش هوى لغضبة حر   ويراع سطا على صولجان

ثورة الحر تخلق الوطن الحر   وتبني للمجد اعلى المباني

واذا تم تشييد مستشفى الكلمة في حلب ، بهمة صديقنا المحسن الاستاذ فتحالله الصقال ، سمعت اذاعة دمشق تردد صوت الشاعر عبدالله يوركي حلاق مخاطبا هذا المحسن الكريم :

فتحت للخير ، لا سيف ولا نار   وشدت للخلد ، فليضفر لك الغار

يا فتح ، هذي وفود الخير حافلة   وفي غصون المنى زهر وأثمار

واذا اهتمت الحكومة السورية بتدشين غرفة الزراعة في الحسكة، رأيت شاعرنا لا يسقط «الفلاح» من حسابه في هذا الحفل فيقول موجها الخطاب اليه :

يا أيها الفلاح ، يا كبش الفدا   أتراك فزت من الثرى بمراد

تشقى وتتعب والحياة عسيرة   تضني ودون الفوز خرط قتاد

في صوتك المجروح أنة يائس   وعلى جبينك سمرة الاجهاد

تعطي الغذاء وأهل بيتك في طوى   وصراخهم يدمي فؤاد جماد

لولاك ما افترت أزاهير المنى   عن ثغرها البسام يوم حصاد

ان الحضارة في البلاد قوامها   قلم الاديب ، ومنجل الحصاد

وحب الحياة عند شاعرنا ، هو صورة من صور حبه الكثيرة ... فهو يحب بلده حبا جما . وقد تجلى هذا الحب في تعبيره عن جمال بلاده ببضع من القصائد ، يصور فيها حلب ، ودمشق ، وزحلة ، ووادي العرائش ، والساقية ، وجدول الوادي .

وهو يحب الحب كما توحيه العواطف المتأججة ، وخاصة في عهود الشباب ـ نضر الله اوقاتها ! ولا ادري أي رقيب يخشاه صديقنا عبدالله يوركي ، حين يصف قصائده الغزلية في هذا الديوان بانها من ذكريات الشباب ؟! ويخيل الي أن المضغة التي جبل منها شاعرنا ، قد صيغت كلها من خالص الحب. فان لفظة «الحب» ومشتقاتها تدور في هذا الديوان مرات كثيرة ، حتى في غير باب الغزل الذي هو مظنة هذه اللفظة الحلوة ! وما على القارىء المستريب ، الا ان يقلب الديوان بعدي ورقة ورقة ، ويعد بنفسه ...

ولا بأس ان يكون شاعرنا بعد هذا متنبها الى مفاتن الحسن وفتن الجمال في «المرأة» حتى بعد اعترافه بغزلياته في عهد شبابه النضير.. وما اصدقه وهو يقول في هذا :

نستمد الوحي والالهام من   صور الحسن ومن سحر العيون

فنصوغ الشعر فنا خالصا   وذوات السحر يوحين الفنون

نحن لولا الغيد ما كنا ولا   شنفت اشعارنا سمع الزمان

ظهر الابداع فينا عندما   أيقظت ارواحنا الغيد الحسان

ومن صور الحب عند شاعرنا ، حب الوطن . ولا ينحصر الوطن عند عبدالله يوركي في دائرة ضيقة هي الوطن الاقليمي الصغير ، ولكنه يمتد الى الوطن العربي الكبير :

كل قطر عربي وطني   رغم ما يفصلنا من تخم
كل حر وحدوي مخلص   هو من روحي وان لم يعلم

وحب شاعرنا للعروبة ، يؤكده حبه للغة العربية : لغة الضاد التي يقول فيها :

سأبذل في سبيل «الضاد» جهدي   لتسمو «الضاد» بالادب الرفيع
فحب «الضاد» ينمو في فؤادي   نمو الزهر في فصل الربيع

ولا تنس ان الشاعر عبدالله يوركي ، هو صاحب مجلة «الضاد» الحلبية ، التي هي مجلى للعربية الصافية .

ولا يفوت شاعرنا ان يشيد باللغة العربية في اكثر من مناسبة ، ويربط بينها وبين القرآن الذي انزل بها فيقول :

انا صب تيمتني لغة   صانها القرآن أسنى الكتب

ويقول :

ولي لغة أعلى الكتاب مقامها   فسارت مسير النور شرقا ومغربا
بها نزل القرآن هديا ورحمة   فرد غليظ الاصفرين مهذبا
وان كلام الله آيات حكمة   فمرحى لامي وعاه ليكتبا

وهذه النغمة السمحة النبيلة من شاعر مسيحي ، تذكرنا بنغمات مثلها سمعناها من قبل ، من اخوان لنا كرام ، من أمثال الشاعر القروي ، وجورج صيدح ، وخليل مطران ، والدكتور لويس صابونجي، ووديع البستاني ، وشبلي الملاط ، وسابا زريق . ويمضي عبدالله يوركي حلاق في سماحته ، فنرى في الديوان ، قصيدة بعنوان «محمد» يقول منها :

امحمد والمجد نسج يمينه   مجدت في تعليمك الاديانا
وسحقت رأس الشر حين وطئته   وزرعت في قلب العتي حنانا
ونشرت ذكر الله في أمية   وثنية ونفحتها الايمانا
وامرتها بالبر فاعتزت به   وتسابقت في نشرها الاحسانا

بقي لون من الحب عند شاعرنا عبدالله يوركي ، هو حبه لامه وبره بها . فهو لا يفتأ يذكرها ويحن اليها ، ويلتمس الدعاء منها في أوقات محنته ... لقد كان في زيارة الى الكويت من عهد قريب . ولم ينسه هذا القطر العربي الكريم ارض طفولته : حلبا ، ولا حنان امه ، فأخذ يعبر عن حنينه بقوله :

اني حننت الى ربى الشهباء مهد طفولتي
واليك يا أمي الحنون ، اليك حنت مهجتي

ولما أصابته علة القتة على فراش الضنى في مستشفى الكلمة ، كانت صلوات امه ودعواتها الى الله بشفائه تصل الى سمعه فتؤجج شاعريته ، وكانت أبياته الهمزية التي بعث بها الي في ذلك الحين ، فأيقنت ان الله شفاه من أجل أمه اولا ، ومن اجل بيته واولاده ثانيا، ومن اجلنا نحن بعد ذلك ...

بقيت كلمة في اسلوب شاعرنا وادائه وصوره وقوافيه . اما القوافي فما لاحظت على واحدة منها قلقا او اضطرابا او نبوا او اجتلابا . وقد اختار لقصيدته «زحلة» قافية على وزن زحلة ، فكانت أرق ما قرأت من قواف . ولا اسوق عليها مثالا ، فالقارىء الكريم حري ان يرجع اليها كلها كاملة في مكانها. وكذلك القافية في قصيدته «الساقية» و «قبلة» و «سمراء» . اما الصور ، فتكاد تكون لوحات حية زاهية مشرقة نابضة بالحركة ، زاخرة بالالوان . وما أروع تصويره للفستق الذي اشتهرت به حلب ، والذي شهدناه في ليلة قمراء في خلال زيارة لنا كانت في أوائل صيف ١٩٦١ ، ويا ليتها تعود .

وما أروعه وهو يصور لنا وادي العرائش ودواليها في بيت يقول فيه :

دواليها نهود الخلد   فوق جبالها الخضر

وما أبدعه وهو يصور ظلام الليل الذي لا يحس بما يدور حوله :

والدجى شاهد أصم وأعمى   لا يرانا ولا يعي ما نقول

وما احفل قصيدته «اميرة الورد» بالصور التي تفريك بجمال الورود في حديقة الاستاذ فتح‌الله الصقال ، فتكاد تمد يدك ـ وانت مكب على صفحات الديوان ـ لتقطف وردة !

واما الاداء ، فأترك لك ايها القارىء الكريم اي معنى من المعاني التي طرقها الشاعر عبدالله يوركي حلاق لترى بنفسك ، وتحس بذوقك ، كيف يؤدي صاحبنا افكاره ، وينقلها اليك على غلائل من الحرير ، او في كؤوس من النمير .

القاهرة   **محمد عبدالغني حسن**

•

معبد الشوق

مجموعة شعرية ـ فؤاد الخشن ـ ١٦٠ صفحة ـ منشورات مؤسسة المعارف ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة)

في كلماته عبق الزهر ، واخضلال الربى ، وبين سطوره حكايات الغربة ، وأساطير وان حاكت الخيال ، فواقع اغتراب ، وعزيمة شباب. أما قصائده فسوار ياسميني جمعت حباته فكانت عقدا في جيد الشعر وحلاوة تندى بها شفاه العذارى . اما عالمه : فجمال ودلال . وهوى وغوى ، وأساطير امجاد وشوق تاله فكان لكل قصيدة عنده ميلاد .

«يطالعك ، والكلمة هنا للاديب المبدع انطون قازان ، جريه الرائق . فالوقاحة لا تصدمك والنقلة لا تؤلمك ، انه الشعر الناقد بسلامة ودراية ، فيه ارتياح ريفي على نكهة من مرارة الزيتون قبل ان يعالج في الاواني ، تحسبه منظوما في الشمس فالحرارة والبياض . ثم يتساقط الندى عليك ، فالشعر وارف ، وتذهب في أي حال لتعود بقطاف شهي وخير غامر » .

ولئن جارت التسمية عليه وليس له في ذلك حيلة فكان له منها الخشونة .قد عوضه الله روحه روح شاعر . فاذا هو قلب أحب ، وفم غني ، ويراع ابدع ، وأنامل سحرية لونت آفاقنا بالرائع المبدع. فهنا ثورة للجمال واثارة للرمال .وسوار ياسميني عابق بالارج.وهناك .. أعياد للربيع ومواسم للخير وغابة زيتون مثقلة بالعطاء .ثم حب عميق كان منه ادونيس وكانت عشتروت .

يظلمك فؤاد الخشن ان جئت تقرأ شعره ، فهو يأخذك من ذاتك لتحيا ذاته . ولكنه ظلم حبيب ينقلك من واقع مرهق مرير ، الى عالم غلفه بألف لون ولون مشرق ليس للالم فيه مكان

وردة ذاك أم فم   أم من النار برعم
حوله الشوق لاهث   والاماني تغمغم

باركهم الله الشعراء . يذيبون أفئدتهم ليعطوا لنا عصارة وان كانت وليدة الالم فيها من نشوة اللذة الكثير ، يحطمون حدود الواقع والزمان ليصنعوا للمتعبين من البشر عالم الروعة والامان .

وفؤاد من تلك الفئة التي تحترق لتنير وتموت لتنبت وتغيب لتشرق ، فمنها وبها كل نغم ساحر وروض زاهر وثورة تتمرد على الحديد والنار .ومسكين من يقول ان مساكين هم الشعراء ، وفقير من يعتبرهم الفقراء .فالكل يفنى وهم الخالدون .والكل يطمع وهم الراضون ، والكل يأخذ وهم الواهبون . يكفيهم انهم جاءوا ثمرة حب ، وعاشوا من اجل حب ، وماتوا في سبيل حب .

يوم قرأت له مجموعته البكرسوار الياسمين هزتني حلاوة الكلمات ونداوة التعابير ودفق العطاء . وعرفت اي شاعر سيكون . فرحت أردد مع الاخطل الصغير : استمر فانت واصل الى القمة بأسرع الطرق ، ذلك لما في شعرك من اصالة ورقة هما حلية الشعر ومطمح الشاعر .

ولم يطل بي الانتظار . فما هي الا لحظات في عمر الزمان قصيرة حتى كان لقائي الثاني واياه . فاذا انا امام تحفة جمعت من صدق الاحساس وابداع الفكر الخلاق لوحة استطال مداها فاذا هي على انبساط الاعين غابة زيتون .

وانفتحت آفاق الشاعر وانطلقت يراعته تخط وتخط فاذا ملحمته الشعرية « أدونيس وعشتروت» تتصدر مكتباتنا تحكي لنا اسطورة وان كانت تحاكي الخيال فليست بالكثيرة على موطن حاكت حقائقه الاساطير.

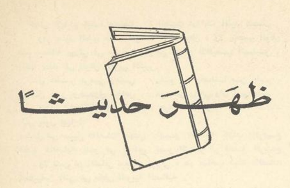
مرحى لفؤاد الخشن «صانع سوار الياسمين» وغابة الزيتون و «ادونيس وعشتروت» بالامس . والمشرع ابواب «معبده» اليوم ندخل اليه آمنين مطمئنين نزيل فيه عن كواهلنا ما علق فيها من أدران الانسانية الكاذبة وخداع الحضارة المزيفة .

«معبد الشوق» هو معبد اشواقنا جميعا.حكايتنا منذ رقص في ضلوع كل منا خافقه المعذب ، وألقيت على كتفيه تبعات الهوى .«معبد الشوق» وغيره مما كتب ويكتب وسيكتب فؤاد، نوافذ مشرعة للحب والحنين . للعذاب والعتاب .للفلسفة والالم والحرمان . ما همني منها كل ذلك ، ناحية واحدة جعلتني اقف عندها معجبا مصفقا لها .الريف بما فيه من السماح والحب .والصور المتجددة الحالمة . تلك الاغنية الحلوة التي حملها فؤاد في ضميره ويراعته والتي كادت تنساها اسماعنا لكثرة ما تباعد عنها ادباؤنا ناثرين وشعراء .

غرستي الخضراء يا مائسة   بالفلالات وفوح مسكر
كم جناح ستحيكين لنا   مخملي كهوانا عطر
أنت يا مفناجة مائجة   بالصبابات وفوح مسكر
سنخليها اذا عاش الهوى   غرسة نادرة في الشجر

زه زه لك يا فؤاد ، لكأني بك وانت تكتب شعرك ، ذلك الزارع الاسطوري الذي قال : « غرسوا فاكلوا ونغرس فيأكلون » .

عبدالكريم شمس الدين



● مع الايام ـ تاليف ناجي جواد ـ لوحات الكتاب بريشة اسماعيل الشيخلي ـ ١٨٤ صفحة ـ منشورات دار الاندلس ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق والايران ـ تاليف شاكر صابر الضابط ـ ٢٨٤ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر وطبع دار البصري ببغداد .

● خان الظريف ـ رواية ـ تاليف خضر نبوة ـ ١٠٤ صفحة ـ مطابع دار الفندور ببيروت .

● بلفور المؤامرة التاريخية ـ تاليف عرفات حجازي ـ طبعة ثانية مزيدة ومنقحة ـ الغلاف بريشة رفيق اللحام ـ الخطوط لمحمود صابر ـ ١٣٠ صفحة ـ سلسلة التوعية الفلسطينية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● سنابل القمح ـ مجموعة قصص ـ تاليف اميل يوسف عواد ـ ٩٦ صفحة ـ مطابع ففالي ببيروت .

● الحقد الاسود ـ تاليف الدكتور شاكر خصباك ـ ١٥٢ صفحة ـ مطبعة الخال اخوان وشركاهم ببيروت .

● الادخار والاستثمار ـ تاليف بيار ماري براديل ـ ترجمة نهاد رضا ـ تقديم الدكتور محمد العمادي ـ ١٦٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الانوار ببيروت ـ مطبعة دارالحياة (؟) .

● خبز وملح : في صميم المجتمع ـ تاليف بولس سلامة ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ـ مطابع بيبلوس الحديثة بفرن الشباك لبنان .

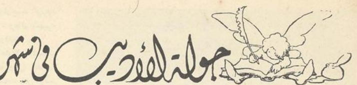
● الغرباء : مذاهب وشخصيات ـ تاليف فتحي سعيد ـ ١٢٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الدار القومية للطباعة والنشر (؟) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الاسلام والمسلمون في المانيا بين الامس واليوم ـ عرض سريع لتطور الاستشراق في المانيا مع صورة عامة للنشاط الاسلامي الراهن فيها ـ تاليف الشيخ طه الولي امين سر جمعية المكتبات اللبنانية ـ ٢٠٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الفتح للطباعة والنشر ببيروت ـ مطابع دار لبنان ببيروت .

● الاذاعة اللبنانية : اثرها في التطور الاجتماعي والفني والادبي والتوجيه العام ـ تاليف فايق الخوري ـ تقديم حسن الحسن مدير الاذاعة اللبنانية ـ ٢٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مطبعة صادر، الناصرة بيروت .

● الطريق الآخر ـ رواية ـ تاليف سعيد فرحات ـ ٢٣٠ صفحة ـ منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● نوى ـ مجموعة شعرية ـ يوسف فاخوري ـ تقديم شكرالله الجر ـ ١٣٦ صفحة ـ مطابع مؤسسة خليفة للطباعة ببيروت .



المؤتمر الدولي الثالث للدراسات العربية والاسلامية

في عام ١٩٦٢ عقد في مدينة قرطبة ، في اسبانيا ، المؤتمر الدولي الاول للدراسات العربية والاسلامية . وكانت فكرة المؤتمر قبل ذلك قد نشأت بين كاهن اسباني معني بهذا اللون من الدراسات الاستشراقية، هو الاب باريخا Pareja ، وعدد من زملائه المستشرقين ، ولقيت تحبيذا واسعا من رجال الاستشراق والهيئات الاستشراقية في العالم. واختير الاب باريخا نفسه سكرتيرا عاما للمكتب الدائم للمؤتمر .

وكان النجاح الذي لقيه المؤتمر الاول في قرطبة دافعا الى الاستمرار في عقد مثل هذه المؤتمرات التي تستقطب رجال الاستشراق، وتسجل تطور أعمالهم في كل ميدان من ميادين الفكر العربي والاسلامي.

وكانت جامعة كمبردج هي الملتقى الثاني للمؤتمر عام ١٩٦٤ .وكان مؤتمرا ناجحا كسابقه ، مما دعا ايطاليا الى أن تهتم باحتضان المؤتمر الثالث . وكان المعهد الجامعي الشرقي في نابولي هو الذي تولى الدعوة الى عقد المؤتمر الثالث في ايطاليا ، واشرف رجاله على الاعداد ، والتنظيم ، واجراء الاتصالات ، وتهيئة الجو ليكون المؤتمر في ايطاليا أوسع مدى ، وأبعد نجاحا من سابقيه .

واختيرت قرية رافيللو الجبلية الساحرة ، على مقربة من نابولي، لتكون مكان انعقاد المؤتمر ، كما اختير مطلع شهر ايلول من هذا العام لانعقاده ، وبذلك حرص القائمون على المؤتمر على ان يهيئوا للمؤتمرين كل دواعي الهدوء ، وفتنة الطبيعة ، وروعة الطقس .

وعلى الرغم من زياراتي العديدة لايطاليا ، وتجوالي في القسم الاكبر منها في الشمال والجنوب والوسط ، واعجابي الشديد بما في مختلف انحائها من روائع الجمال والفن والسحر ، فانني اعترف بان الجمال الساحر في رافيللو الذي لمسته ــ ولمسه مثلي سائر المشتركين في المؤتمر وامتلاوا اعجابا به ــ لهو مما يعجز القلم عن وصفه .

تقوم قرية رافيللو على رأس جبل يعلو نحو اربعمئة متر عن سطح البحر . وتحيط بها جبال شاهقة ، وأودية سحيقة ، تضحك بها الاشجار النضرة وخضرة الحدائق والحقول من أعماق الوديان حتى قمم الجبال ، ومن تحت أقدامها يتداح البحر الازرق الى آماد لا تبرحها العيون ، كما تتناثر على شواطئه القرى الجميلة التي يختبىء بعض بيوتها في السفوح الخضراء أعشاشا تبهر البصر بجمالها . فهناك (امالفي) ، و (مايوري) و (مينوري) تبدو في الصباح عند طلوع الشمس مكسوة بحلل باهرة من النور ، تجعل كل ما حولها يبدو بلون العقيق المتلالىء ، وفي الليل تبدو تحت ضوء القمر الساطع كتلا من الانوار المتألقة في دكنة الجبال الخضراء ، وتنداح أشعة القمر فوق البحر أمامها حقولا من النور المترقرقة على المويجات المتكسرة المنسابة الى الشواطىء .

لكل ساعة من ساعات النهار لون يختلف عنه في الساعة الاخرى. ومن كل مكان تنبعث من الوديان والسفوح والتلال والبساتين روائح لا الذ منها ولا الطف ، تشترك في نشرها الاشجار المتعددة الاصناف ، والازهار من كل جنس ولون وحجم : البرية منها وغير البرية ، فاذا العطر يملأ الجو في النهار والليل ، ويبعث في النفس كل معاني البهجة والراحة والاستسلام الحالم اللذيذ . ويتمنى المرء لو كان نحلة أو فراشة او طائرا صغيرا ، ليحط على كل شجرة ، وكل زهرة ، وكل نبتة ، يرفرف ، ويغرد ، ويمتص الرحيق ، فلا يشبع من الرفرفة ، والتغريد ، وامتصاص الرحيق .

وفي الصباح تمتلىء أحضان الجبال بالبخار المتصاعد من قلب الاودية مضمخا بالاريج ، كأنه دخان ملايين المجامر العابقة باعطر البخور ، وأجود اصناف السند والعنبر . ثم لا يلبث البخار ان ينعقد قبيل الظهر والى ساعة الغروب تيجانا جميلة مفضضة على قمم الجبال الشامخة ، ومن تحته الغابات الخضراء المتراصة تنحدر وتنتشر على السفوح ، والى أعماق الاودية ، والى عشوش البيوت المتناثرة في تلك السفوح والاودية .

وحيثما وقفت على قمة الجبل الذي تقوم عليه فنادق رافيللو ومنتزهاتها : فندق بانوراميكا ــ وفندق بالومبو ــ وفندق كاروزو ــ وفندق برسيفال ، وأدرت ناظريك في كل جهة من حولك ، فانت في جنة من الارض لا مثيل لها . ليس هناك شبر واحد من الارض ــ عدا الطرقات التي تسير عليها السيارات ــ لا يعج بالخضرة والعطر والطراوة والجمال الساحر .

حتى في قلب المدينة الآهلة بالسكان تتناثر الحدائق المنسقة بالزهر والشجر بشكل لا مثيل له.وحين يتجول المرء في « فيللا روفولو » و «فيللا تشمبرونه» و «البلفيديري» عند فندق كاروزو ، و «البلفيديري» الآخر عند فندق بالومبو ، تاخذ الروعة بآفاق نفسه ، وتملأ روحه بالسحر والشعر والاحلام اللذيذة .

أما الطريق الصاعدة من «آمالفي» الى رافيللو ، والمحفورة في قلب الصخر الصلد ، فانها تبهر النظر على الرغم من ضيقها ، ومن مئات التعاريج الخطرة التي تتخللها . وهي لضيقها لا تسمح لسيارات البولمان بالدوران السهل في منعطفاتها ، بل يضطر السائق عند كل منعطف الى التراجع الى الخلف لكي يجد فسحة من المكان تسمح بدوران السيارة . ولهذا لا تستطيع السيارة ان تقطع الكيلومترات الستة الصاعدة من شاطىء آمالفي الى رافيللو في أقل من نصف ساعة. غير ان الراكب في السيارة يتمنى لو طالت المسافة اكثر ، واستغرقت الرحلة مدى العمر كله ، لكي تتيح له ان يستغرق في نشوة الحلم ما شاء له الحلم اللذيذ الناعم .

ان المرء ليشعر في رافيللو بانه يود لو يملأ جيوبه من بخار الاودية ، ومن عبير الجبال والبساتين ، ويحمله معه مدى العمر . وهذا الجو الساحر يفتح نفسه وقلبه لكل شيء ، ولكل انسان . فهو يشعر بجمال السير مع الاخرين ، والحديث معهم ، والجلوس معهم في المنتزهات ، والمقاهي ، والحدائق .انه ليحس احساسا عميقا شاملا بان الحياة جميلة وثمينة ، وتستحق ان يعيشها حتى الامتلاء ، ولا يمكن ان يمتلىء منها أو يشبع ولو طالت به الى مئات السنين .

استغرق المؤتمر ستة ايام : من اليوم الاول من سبتمبر الى اليوم السادس منه ، واشترك فيه من المستشرقين والكتاب العرب اكثر من مئة وخمسين شخصا ، حملتهم أجنحة الفضاء من مغارب الارض ومشارقها ، تجمع بينهم وحدة الفكر ، ورابطة الثقافة الانسانية الواحدة ، فلا غربي فيهم ولا شرقي ، بل اخوان يؤلف بين قلوبهم الحب ووحدة الهدف والعمل الفكري ، كما يؤلف بينهم اشتراكهم في خدمة الفكر العربي والاسلامي بشكل خاص .

لقد جاؤوا من البلدان المختلفة العقائد والانظمة : من البلدان الرأسمالية ، والبلدان الشيوعية ، والبلدان المتطورة في آسيا وافريقيا ، واشتركوا جميعا في البحث والنقاش ، كما اشتركوا في مجالس الفندق والمقهى والسهرة على السواء : لم تنعكس عقائدهم السياسية ، والدينية ، والاجتماعية على أبحاثهم واجتماعاتهم ، ولا

كان لها أدنى أثر في تصرفاتهم وأحاديثهم الشخصية . وهذه هي الميزة الانسانية الكبرى للفكر ، فهو يجمع ولا يفرق ، ويعلم الحب والاخوة والمساواة لخدمة الحضارة والانسان .

كان عدد الكتاب والاساتذة العرب المشتركين في المؤتمر ثلاثة عشر شخصا : بينهم اربعة مصريين ، واربعة تونسيين ، واثنان من الاردن، واثنان من العراق ، وواحد لبناني . غير ان عددا من هؤلاء لم يجيئوا من الاقطار العربية عينها ، بل جاؤوا من الجامعات الغربية التي يعملون فيها : فالاستاذ شفيق شحاته ، مثلا (مصري) جاء من فرنسا ، وكذلك الهادي روجر ادريس (تونسي) ، ومحسن مهدي (عراقي) من الولايات المتحدة الاميركية ، وكذلك جورج المقدسي (لبناني) ، وحنا مخائيل (اردني يعمل استاذا في جامعة برنستون) ، والانسة نور الصباح قحطان (عراقية) جاءت من بريطانيا .وكل من هؤلاء جاء يمثل الجامعة التي يعمل فيها . اما الذين جاؤوا من البلدان العربية نفسها فهم ـ عدا كاتب هذه السطور ـ الاساتذة : عثمان الكعاك ، ومصطفى زبيس ، ومحمد بن صالح (من تونس) ، والاب قنواتي ، والدكتور محمد النويهي (من مصر) .

وكان بين المستشرقين القادمين من اوروبا واميركا عدد من المشاهير الذين لهم فضلهم الكبير وجهودهم العريقة في حقول الاستشراق . ومن هؤلاء أذكر : يوسف شاخت ـ وهو معروف في مصر وغيرها من الاقطار العربية ـ، ونيفيل باربور ، والاب باريخا ، والبلجيكي آبيل ، وغيرهم ، كما حضر سائر المستشرقين الايطاليين ، عدا جورجيو ديلافيدا ـ وهو عميدهم ـ الذي حالت الشيخوخة دون حضوره . وقد شاء القائمون على المؤتمر ان يكرموه باسناد رئاسة المؤتمر الفخرية اليه ، ولقي اقتراحهم هذا تحبيذ المؤتمرين جميعا ، فارسلت اليه برقية بذلك تحمل تواقيع المؤتمرين كلهم .

كانت حفلة الافتتاح مساء اليوم الاول من ايلول في كنيسة (سان جوفاني ديل تورو) وقد افتتحها الاستاذ روبرتو روبيناتشي بكلمة ترحيب لطيفة . ثم تلاه الاب باريخا فتحدث عن نشوء الدعوة الى مؤتمر الدراسات العربية والاسلامية قبل نحو خمس سنوات ، ثم عن المؤتمرين السابقين : في قرطبة ، وكمبردج .وتكلم بعدئذ الاستاذ فرنشيسكو غبريلي ، فأشار الى أهمية عقد مثل هذه المؤتمرات التي يتدارس فيها المستشرقون والكتاب العرب شؤونهم الفكرية في جو من المودةوالتعاون والتبادل الفكري المثمر .وتطرق الى أبحاث المؤتمر ، كما هو واضح من عناوينها ، فقال انها تشمل الشيء الكثير من الشؤون التي تهمنا جميعا،والتي تنير أمامنا سبل العمل ، وتفتح لنا أبوابا جديدة واسعة.

ثم أسندت رئاسة الجلسة الى السيدة لاورا فاليري، وهي من أشهر المستشرقين الايطاليين ، فالقت كلمة شكر وترحيب .

وجدير بالذكر ان سكرتيرية المؤتمر كانت تتالف من السيدة فاليري ، وزميليها الاستاذين روبرتو روبيناتشي ، وجوفاني أومان ، يساعدهم عدد من الشبان والفتيات .وقد أشرف الثلاثة على تنظيم المؤتمر احسن تنظيم ممكن ، بالرغم من كثرة عدد المشتركين في أبحاث المؤتمر ، وقصر الوقت المخصص له .

كانت تعقد كل يوم جلستان : صباحية ، وتبدأ الساعة الثامنة والنصف ، وتنتهي الساعة الثانية عشرة والنصف ، ومسائية تبدأ الساعة الرابعة وتنتهي في السادسة والنصف . ثم ينتشر المؤتمرون بعد ذلك في الفنادق او في مقاهي القرية وحدائقها ، يتنزهون او يستزيدون من الابحاث الجانبية حول شؤون الفكر في الشرق والغرب.

في بعض الايام اضطر المشرفون على تنظيم المؤتمر الى عقد حلقتين في وقت واحد ، وفي مكانين مختلفين من الكنيسة عينها ، يتحدث في كل منهما عدد من المؤتمرين . وكان هذا ضروريا لاتاحة المجال لجميع أصحاب الابحاث لكي يلقوا أبحاثهم خلال مدة المؤتمر المحدودة .وبذلك استطاع ان يتحدث في اليوم الاول تسعة عشر شخصا، وفي اليوم الثاني عشرة اشخاص ، وفي اليوم الثالث سبعة عشر شخصا ، وفي اليوم الرابع اثنان وعشرون شخصا ، وفي اليوم الاخير ، وهو السادس من أيلول ، كانت هناك جلسة نهائية في الصباح ، تحدث فيها خمسة اشخاص ، ثم اختتم المؤتمر في الساعة الحادية عشرة قبل الظهر ، لتبدأ بعد ذلك جولة في انحاء صقلية تستغرق سبعة أيام . وقد اشترك فيها عدد من المؤتمرين .

كان من الطبيعي ، ازاء هذا العدد الضخم من المتحدثين ، في مدة قصيرة كهذه ، ان تكون أبحاث المؤتمر قصيرة مختصرة . ولهذا كان الوقت المحدد لكل حديث ١٥ ـ ٢٠ دقيقة فقط ، ثم يتلو ذلك نقاش او تعليق في بعض الاحيان ، او يمضي الحديث دون تعليق، الا كلمة شكر من رئيس الجلسة ، وكان الرئيس يتغير في كل جلسة .

ان خمس عشرة او عشرين دقيقة ليست بالزمن الكافي لالقاء بحث واف مشبع . ولهذا كان القسم الاكبر من الابحاث مجرد استعراضات سريعة ، وقد تركت الابحاث المفصلة لتظهر في الكتاب الذي سيصدر فيما بعد عن أعمال المؤتمر وأبحاثه باشراف المعهد الجامعي الشرقي في نابولي ، ونامل ان لا يتاخر صدور هذا الكتاب

كانت اللغات التي ألقيت بها أبحاث المؤتمر ، ودارت فيها مناقشاته ، هي : الفرنسية ، والانجليزية ، والاسبانية ، والايطالية ، وواحد فقط القى كلمته بالعربية ، وهو الاستاذ محمد بن صالح ، وقد تحدث عن «اللغة العربية المكتوبة ولغة الحديث» ، كما طلب المؤتمرون الي أنا أيضا ـ بعد ان القيت كلمتي عن الشاعر مصطفى وهبي التل بالانكليزية، مع مختارات من شعره باللغة عينها ـ ان أسمعهم بعض قصائده بالاصل العربي ، فالقيت بعضها حسب رغبتهم .

لقد تناولت ابحاث المؤتمر السريعة شؤون الفكر العربي والاسلامي المختلفة في القديم والحديث ، وعرضت مختلف اهتمامات المستشرقين في كل مكان . وكذلك تناول العرب المشتركون في المؤتمر جوانب مختلفة من الحياة العربية والاسلامية ، وشؤون الفكر . وكان مما يلفت النظر اهتمام بعض المستشرقين بالادب العربي المعاصر . وأشير ههنا



من اليمين الى اليسار : المستشرق الايطالي جوزيبي بلفيودي ، مصطفى زبيس ، عثمان الكعاك وعيسى الناعوري .

بنوع خاص الى الابحاث التي قدمها المستشرقان الايطاليان روبرتو ريتسسانو «عن القصة العربية المعاصرة في المغرب» ، وجوزيبي بلفيودي «عن طه حسين ناقد القصة العربية المعاصرة» ، والمستشرق التشيكوسلوفاكي الشاب بانتوشيك «عن اهتمامه بالادب العربي المعاصر في تونس والجزائر» والمستشرق المالطي كاكسيا عن «التحليل النفسي في النقد الادبي العربي المعاصر» .

واذا كانت أبحاث المؤتمر تتسم في أغلبها برصانة البحث العلمي وتزمته ، فقد كانت هناك أبحاث مليئة بالحيوية والجدة والطرافة . وأشير هنا بنوع خاص الى البحث الذي قدمه الدكتور محمد النويهي بالانكليزية عن «الصلة بين الشكل والمضمون في الشعر العربي الكلاسيكي» ، فقد كان الدكتور النويهي مرحا جدا في حديثه ،بحيث كان يغني الشعر غناء ، ويتلاعب باصواته تلاعبا مرحا ليبين صلة الصوت الشعري بالمعنى الذي يريده الشاعر . وكذلك أشير الى البحث الذي قدمته السيدة كليليا سارنيللي بالفرنسية عن « كتاب ناصرالدين الحجري الاندلسي » ، فقد استطاعت ان تقدم بحثها بطريقة لطيفة أخاذة ، وتخلع عليه كثيرا من الحيوية والطرافة . وأشير ايضا الى الحيوية التي أثارتها في المؤتمر القصائد التي القيتها بالانكليزية والعربية من شعر مصطفى وهبي التل ، فقد كانت جديدة وفريدة في روحها واسلوبها ، وعرف فيها المؤتمر شاعرا جديدا ، وشاعرية جديرة بالاهتمام .

لقد كان المؤتمر ناجحا الى حد بعيد بما أضفاه القائمون عليه من التنظيم والاستعداد الكبير ، وبالعدد الضخم من المشتركين فيه من سائر انحاء العالم الغربي والشرقي ، وبالوجوه المتعددة من الحياة الفكرية العربية والاسلامية التي تناولها المؤتمرون في أبحاثهم . ولكنه كان أعظم نجاحا بالفرصة التي أتاحها لالتقاء هذه المجموعة الكبيرة من رجال الفكر والاستشراق ، للتعارف ، وللتبادل الفكري ، ولتوثيق العلاقات بين الشرق والغرب على أسس من الحرية الفكرية ، والاخوة الانسانية ، وصلة الفكر والثقافة . كما كان من دواعي نجاحه حسن اختيار المكان لعقده في هذه البقعة الساحرة ، وفي هذا الفصل الجميل الممتع من السنة .. وقد علمت ان من المنتظر ان يعقد المؤتمر القادم في مدينة لشبونة ، عاصمة البرتغال عام ١٩٦٨ .

وانه لجدير بي ، قبل أن اختم هذه الجولة ، ان اقدم الشكر لاساتذة المعهد الشرقي في جامعة نابولي على الجهود الكبيرة الناجحة التي بذلوها في الاعداد لهذا المؤتمر ، والاشراف على تنظيمه وعلى راحة الوفود المشتركة فيه ، فلقد كانت جهودهم جديرة بكل تقدير .

رافيللو ــ ايطاليا **عيسى الناعوري**

●

الادب المعاصر و «الاديب»

اذا كانت لجان التكريم التي تقوم بين الحين مرتبطة بالمصالح المشتركة التي تجمع اعضاءها بصاحب التكريم ذاته ، فان اللجنة التي تألفت منذ اسابيع لتكريم اديب لبنان والعرب الاستاذ الشاعر الكبير البير اديب ، صاحب مجلة لبنان والعرب الفذة «الاديب» الفراء ، هي من غير ذلك الطراز !

ان المصلحة المشتركة الوحيدة التي تربط اعضاء هذه اللجنة بالبير أديب هي مصلحة الكلمة الحرة ، والفكرة الصائبة ، والرأي المتزن ، والجرأة المقترنة بالحياء ، والواقعية المتصفة بالاخلاقية السامية .

ويجمع ادباء لبنان والعرب بالبير أديب أنهم ابرار ، لا يتنكرون للايادي البيضاء التي تعهدت نتاجهم بالرعاية والعناية ، فاطلوا من على منبر «الاديب» كأكثر ما تكون الاطلالة اشراقا وروعة .

فلا عجب اذا قاموا بعد خمسة وعشرين عاما من نضال مستمر لم ينثن ابدا ، حتى في الظروف العصيبة ، وادوا قسطا من الواجب ، وأعلنوا ان تلاميذ البير أديب ، وتلاميذ مجلته ليسوا من العقوق بحيث يتخلون عن الدوحة العريقة ، اذا ما قسا جناحاهم ، وحلقوا بهما في الاجواء التي ارادها لهم ألبير أديب ، ومجلة «الاديب» .

ولئن كانت الامم تقيم لجنودها الابطال الذين قضوا في ساح الحروب ، تمثالا رمزيا تكريما لكل «جندي مجهول» فان أقل ما يفعله رجال الفكر اللبنانيون والعرب هو اقامة تمثال للجندي المجهول ، صاحب «الاديب» ، الذي ما برح ، حتى الساعة ، يعمل بذات الهمة التي كان يعمل بها ، يوم اسس مجلته ، وجعل صفحاتها منابر قدمت للادب العربي المعاصر اكثر افذاذه وعباقرته .

منذ سنوات، أصيب البير أديب بمرض عارض في عينيه ــ سلمت للادب عيناه ــ ويا لعجب ما رأيت ، اذ زرته في منزله الذي اتخذ جناحا منه مكتبا له ! رأيته جالسا وراء مكتبه ، وقلمه الاحمرالعريض بيده ، ينقح ويصحح المقالات والقصائد ، كعادته دائما ، خوفا من أن يتاخر موعد صدور «الاديب» .

وصرخت محتجا ، وموضحا له انه يحمل نفسه اكثر من طاقتها ، وان «الاديب» عزيزة علينا جميعا ، ولكن عينيه اعز وأولى بالعناية .

فما كان منه الا ان رد بهدوء ، ومتانة أعصاب : خذ هذه المقالات والقصائد ، وساعدني على تنقيحها ، لئلا يتأخر موعد صدور المجلة .

واستجبت لطلبه ، ورحت اساعده في ذلك ، ما أسعفتني قدرتي المتواضعة ، بينما راح البير أديب يسترق النظر الى ملامحي ، حتى اذا فرغت من التنقيح ، تنفست الصعداء ، وكان التعب قد ارهقني حقا ، فالتفت الاديب الصبور الي ، وقلمه لم يفارق اصابعه ، وأعصابه لم تزل على متانتها ، ثم قال : ــ « أرأيت ؟! ان المسألة تتطلب احتمالا وصبرا .»

وحقا ، لقد شهدت له بقوة الاحتمال والصبر ، وادركت عمليا اية جهود هي الجهود التي يبذلها صاحب «الاديب» في سبيل مجلته التي انقطع لها ، عن كل عمل عداها .

والحق ان معظم الصحف في لبنان والبلاد العربية قد تعرضت للمصادرة ، والمنع ، والمراقبة ، والشطب ، والحذف ، الا «الاديب» ، فهي لم تسجل في حياتها ، ولو مرة واحدة، انها انقطعت عن الوصول بكاملها ، شهريا ، الى قرائها ومشتركيها العديدين .

واذا كان في ذلك فضل يعود الى الرقابة الذاتية التي فرضها البير اديب على نفسه وعلى مجلته ، ففي ذلك أيضا دليل الاحترام العميق الذي يكنه الوطن العربي ، فضلا عن أدباء المهجر والاستشراق، للمجلة التي كانت وما برحت اما للمجلات العربية الادبية .

واذا كنا ، في لبنان ، نعجب لشيء ، فلان الجوائز الادبية التي توزع كل عام على مستحقيها ، وعلى غير مستحقيها ، لم تصب مجلة «الاديب» ، ولا صاحبها ، برشاش او برذاذ !

● نحن نطالب بان تكون جائزة فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية ، وهي جائزة تقديرية لالبير اديب ، هذا العام .

● ونحن نطالب بان تبادر وزارة الارشاد والانباء الى رصد ما يلزم من اعتمادات لتشجيع المجلات الادبية ، وفي طليعتها «الاديب» ، لما تؤديه هذه المجلات من أعمال الدعاية السليمة المقرونة بالوقائع والادلة ، من أجل لبنان .

● ونحن نطالب بان يكون مهرجان تكريم البير أديب ، بمناسبة اليوبيل الفضي لمجلة «الاديب» ، مهرجانا رسميا وشعبيا تشترك فيه مختلف الهيئات برعاية فخامة رئيس الجمهورية ، وخاصة طلاب المدارس والجامعات ، ليروا مثلا حيا لتكريم رجالات الفكر والصحافة في وطنهم الذي يسمعون انه بلد العلم والنور والاشعاع .

وشكرا لزملائنا الذين عرفوا الفضل فاعترفوا به ، وأدركوا قيمة الرسالة فاكبروا صاحبها . وتحية من الاعماق لالبير أديب .

افتتاحية «رسالة التربية» ــ بيروت **فوزي عطوي**

رئيس تحرير «رسالة التربية»

دار صـادر

عنوانها : صندوق البريد رقم ١٠ ـ بيروت (تلفون ٢٣٠٤٨٠)،

مركزها : ٣٦ شارع مـار منصور ـ بناية محمد خاتون الطابق الثاني ـ جنوبي البناية المركزية

تقدم الى القارىء الكريم مؤلفات الاديب الكبير

الاستـاذ مخائيل نعيمة في طبعاتهـا الجديدة

		سعر
١	ـ كان ما كان	٢٠٠
٢	ـ اكابر	٢٠٠
٣	ـ همس الجفون	٣٠٠
٤	ـ مذكرات الارقش	٢٥٠
٥	ـ الاباء والبنون	٢٥٠
٦	ـ في مهب الريح	٣٠٠
٧	ـ الاوثان	١٢٥
٨	ـ النور والديجور	٣٠٠
٩	ـ أبعد من موسكو	٣٠٠
١٠	ـ البيـادر	٣٥٠
١١	ـ لقـاء	٢٥٠
١٢	ـ مرداد	٦٠٠

		سعر
١٣	ـ ابو بطة	٣٠٠
١٤	ـ سبعون : المرحلة الاولى	٥٠٠
١٥	ـ سبعون : المرحلة الثانية	٥٠٠
١٦	ـ سبعون : المرحلة الثالثة	٥٠٠
١٧	ـ جبران خليل جبران	٥٠٠
١٨	ـ الغربال	٣٥٠
١٩	ـ دروب	٣٠٠
٢٠	ـ المراحل	٢٠٠
٢١	ـ زاد المعاد	٢٥٠
٢٢	ـ صوت العالم	٣٠٠
٢٣	ـ كرم على درب	٢٠٠
٢٤	ـ اليوم الاخير	٤٠٠
٢٥	ـ هوامش	٤٠٠

مكتبة المثنى

تقدم : كتـاب النقائض

(نقائض جرير والفرزدق)

في ثلاثة مجلدات بالقماش

يطلب الكتـاب من مكتبة المثنى ببغداد

ومن دار صادر ببيروت

ومن جميع المكتبات العربية

صدر حديثا

١ ـ **أضواء على مسلك التوحيد «الدرزية» بقلم الدكتور سامي نسيب مكارم مع مقدمـة بقلم معالي الاستـاذ كمـال بك جنبلاط**

٢ ـ **تاريخ الفلسفة العربيـة الاسلامية بقلـم الاستاذ عبده شمالي**

٣ ـ **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**

٤ ـ **ديوان الاعشى**

٥ ـ **ديوان الفرزدق جزآن**

٦ ـ **حكايات لبنانية للاستاذ كرم البستاني**

٧ ـ **البيان للاستاذ كرم البستاني**

الناشر : دار صادر للطباعة والنشر